



الطب النفسي

د. عادل صادق



يصدر أول كل شهر عن
دار الحرية
للصحافة والطباعة والنشر
٤١ شارع شريف - القاهرة
تليفون : ٧٤٧٠٠٠ - برقيا : الحرية
المراسلات : ص.ب ١٣٧ محمد فريد - القاهرة

العدد السابع
ربيع الأول ١٤٠٦ هـ
ديسمبر ١٩٨٥ م

الطب النفسى

الطبعـة الأولـى
ديســمبر ١٩٨٥

الطب النفسى

د. عـــادل صـــادق

إهـــداء

إلى أى إنسان . فى أى مكان فى الأرض .. كتب الله عليه المعاناة من الألم النفسى .. ليطهر نفسه .. أو ليزيدها طهراً .. أو ليزيد فهمه لمعنى الحياة .. أو ليلهمه عملاً فنياً رائعاً لم يكن ليبدعه لولا الألم الذى أكسبه نفاذاً وبصيرة .

المـؤلـف

مقـــــدمـــة

أي مادة تتكون من ذرات .. وهذه الذرات تتماسك فيما بينها بواسطة شحنات كهربية .. وهو تماسك من الصعب تفتيته .. وهذا التفتيت يعنى تمزق وخراب .. والخراب الأكبر يأتى من تفتيت الذرة نفسها .. إنه الدمار الذى ينهى وجودها ذاتها ويمحق كل ما حولها .

وهكذا الإنسان .. كيان يتكون من خلايا تتلاق وتتواصل وتتماسك بنظام متكامل متآزر متناغم يعمل تحت إمرة عضو عملاق يتكون من أثنى عشر بليون خلية اسمه المخ ... والمخ يسيطر على كل جزء فى جسم الإنسان .. يتلقى المعلومات من الجسم ومن البيئة المحيطة به فى صورة إشارات عصبية .. يحللها ويعيها ويدرك من خلالها احتياجات الجسم أو الموقف .. ومن ثم يصدر أوامره .. عن طريق إشارات عصبية حركية هابطة ، أى تنزل من أعلى لأسفل فتتحرك اليد أو تنطلق القدم أو تنبسط عضلات الوجه باسمة أو تهيج الغدد الدمعية باكية ..

هكذا الإنسان كيان متماسك ومتواصل كهربياً .. أو هكذا جسم الإنسان ..

ولكن هناك بعداً آخر للإنسان .. هناك كيان آخر .. هناك ذات أخرى غير تلك الذات المادية التى تتحرك وتروح وتجىء وتنام وتستيقظ وتأكل وتتنفس وتشم وتسمع وترى ..

ذات أخرى تفضّل وتميز وتكرّم بها الإنسان .. ذات علا بها الإنسان فوق نطاق المادة إلى عالم اللا أشياء ، حيث لا أشياء تلمس باليد أو ترى بالعين أو تشم بالأنف أو تذاق باللسان .. إنما هى ذات ذراتها عواطف وأفكار وأخيلة وألحان وأنغام ومعان .. وهذه الذرات تتماسك وتتواصل بشىء آخر غير الكهرباء .. إنها تتماسك بالحب ..

هذه الذات تسمى النفس .

.. وتهوِى النفس مريضة أى متفككة إذا مات الحب بين خلاياها ..

.. وهو حب ثلاثى ..

.. حب الإنسان لخالقه .. وحبه لنفسه .. وحبه للناس ..

والموت يتم تشخيصه عن طريق جهاز رسام المخ الكهربائى .. فإذا توقف المخ عن استقبال وبث الشحنات الكهربائية فإن هذا يعلن نهاية الجسد لأن كل خلية تصبح منفصلة عن بقية الخلايا .. الموت هو انعدام التماسك والتواصل بين خلايا الجسم .. وحين يمرض جزء من الجسد فإن هذا معناه أن خلايا هذا الجزء قد اختلفت وبالتالى قد انفصلت عن بقية النسق المتآزر المتناغم .. وهذا يؤدى إلى حدوث خلل فى الوظيفة أو إلى الإحساس بالألم ..

.. وكما يموت الجسد أو يمرض فإن النفس أيضاً تموت أو تمرض ..

.. والمرض هو خلل فى الوظيفة أو إحساس بالألم أو كلاهما .

وهذا الكتاب عن أمراض النفس .. عن النفس التى تتألم أو تضطرب فى أداء وظائفها .. عن النفس التى تفقد تماسكها فتتفكك وتتبعثر .. ونبحث معاً عن السبب فنجد أن هذا الإنسان إما أنه فقد حبه لخالقه فأصبح ريشة ضائعة تافهة تتقاذفها الرياح فى كل إتجاه بلا هدف .. وإما أنه فقد حبه لنفسه فأصبح يرى ذاته عديمة الجدوى عقيمة ، وبالتالى أصبح وجودها أو استمرارها بلا معنى ، وإما أنه فقد حبه للناس فأصبح الوجود جحيماً والاستمرار عذاباً وتصبح اليد التى تصافحه

كأنها معدن ملتهب والعين التى تطالعه كأنما تنفث فيه سحراً أسود يريد أن ينهى وجوده ...

.. يعيش هذا الإنسان متألماً أو ميتاً أو كارهاً ورافضاً للحياة ..

.. وبهذا – أيها القارى – أكون قد قدمت لك ملخصاً للكتاب فى بدايته .. ملخصاً لمعنى المرض .. أما التفاصيل فستأتى بعد ذلك تباعاً فى مزيد من الصفحات . وستنتهى إلى صفحة أخيرة وهكذا لكل شىء نهاية .. والنهاية تحمل تكثيف كل المعانى .. والحقيقة الراسخة أن الإنسان ذاته معنى .. هناك معنى لخلقه .. ومعنى لوجوده على الأرض .. ومعنى لرحيله عنها .. سلسلة من المعانى البليغة اختص بها الإنسان ليحقق معنى المعانى وهو الحب ..

ولهذا فللمرض أيضاً معنى .. بل هو يؤكد معنى المعانى .. وهو أن أى خلل يصيب مقدرة الإنسان على الحب يزلزل كيانه ويمرضه لأنه بذلك يخل بمعنى وجوده هو ذاته ..

وبالكلمة نعبر عن أفكارنا ومشاعرنا ..

والتعبير ضرورة للإنسان لكى يتواصل مع الآخرين .. أى لكى ينقل عواطفه وأفكاره ولكى يترجم خيالاته وأحلامه ، إنه مركز فى المخ مسئول عن ترجمة المعانى إلى كلمات منطوقة يتحرك بها اللسان وعضلات أخرى تصدر الصوت ..

والمعانى أحياناً تكون عميقة أبعد من متناول الكلمات أو غزيرة أكبر من حجم الكلمات ، أو معقدة متشابكة أوسع من حدود الكلمات ، ولهذا يشعر الإنسان بالعجز .. فيبتسم فقط معبراً عن سعادة .. أو تنهمر دمعة معبرة عن حزن .. أو يعبر بالموسيقى .. أو بالرسم .. أو يقوم ينسج الكلمات فى قوالب غير مألوفة ، فى محاولة لأن يعبر عما يجيش بداخله من أحاسيس وأفكار وتصورات وخيالات ..

.. فى محاولة لأن يقول ..

.. ولابد للإنسان أن يقول ..

.. وهذا هو معنى الحرية ..

ولأن المرض يكسر أو يفتت جهاز التعبير – أى النفس – فإن المرض يصبح سلباً لحرية الإنسان .. وأتذكر مريضاً وصف حالته لى بقوله : أشعر أننى فى داخل سجن أصغر من حجم جسدى .. ومريضة أخرى قالت : أكره جسدى .. أشعر أنه قد تحول إلى سجن لنفسى .. ومريض آخر قال : أشعر كأنما تقطعت ساقاى وذراعاى .. إنه العجز بكل معانيه .. وحين يقول المريض : ضاقت الدنيا فى عينى .. وحين تقول المريضة فى كل مكان أذهب إليه يطاردوننى ، حتى أصبحت الدنيا بالنسبة لى سجناً كبيراً ..

.. هذه الأنات توضح كيف أن هذه الأمراض تسلب الإنسان حريته .. حريته فى التفكير .. حريته فى الاحساس .. حريته فى التعبير ..

.. وتصبح الحرية مرادفة للصحة النفسية ..

وهذا الكتاب الذى يصدر عن « دار الحرية » هو كتاب طبى بالدرجة الأولى يتحدث عن الطب النفسى .. وأنا أؤمن أن المعرفة بكل أنواعها لابد وأن تكون متاحة لكل الناس .. كل الناس بدون استثناء وبدون استبعاد جزء منهم بحجة تواضع مستواهم التعليمى أو الثقافى .. وأى فرع من المعرفة يمكن تبسيطه بدون إخلال وتوصيله لكل المستويات .. وفى ذلك تأكيد لمعنى الحرية .. فكلما ازداد الإنسان معرفة كلما ازداد إحساسه بحريته .. حرية فكره وحرية إرادته ..

.. من أجل هذا التقى مجموعة من الأشخاص .. وكونوا دار الحرية التى يصدر عنها كتاب الحرية ..

وهناك حد أدنى من المعلومات الطبية فى كل الفروع لابد أن يكون متوافراً لكل إنسان .. ففى ذلك وقاية من المرض .. أو وصول إلى الاكتشاف المبكر قبل حدوث المضاعفات ، أو تأكيد للمساهمة فى العلاج حتى يتحقق الشفاء أو مساعدة الآخرين ومساندتهم فى محنتهم ..

المعرفة فى كل صورها نور وقوة ..

والنور والقوة كلاهما دعامتا الحرية ..

والحرية هى الصحة النفسية ..

ولا يتحقق أى من هذه المعانى إلا بالحب ..

حب الإنسان لخالقه .. وحبه لنفسه .. وحبه للناس ..

د . عادل صادق

معنى الطب النفسى

الطب النفسى هو فرع من فروع الطب ، مثلما نتحدث عن طب القلب وطب العيون وهكذا .. والطب النفسى يتعامل مع الأمراض التى تصيب العقل .. والتعامل مع الأمراض معناه دراسة أعراضها وأسبابها والتغيرات التى تحدثها فى الجسم وكذلك علاجها والأهم من ذلك سبل الوقاية منها .

ولكن ما هو العقل ؟ أين مكانه ؟ وما هى حدوده التشريحية ؟ مم يتكون ؟ هل هو عضو كائن فى الجسد مثل القلب أو الرئة أو الكلى ؟

بالضرورة لا بد أن يكون هناك مكان وحدود تشريحية وخصائص فسيولوجية ما دمنا نتكلم طباً ، وما دمنا نتكلم عن أمراض لها أعراض ولها أيضاً علامات ، وإلا فلا يمكن اعتبار الطب النفسى فرعاً من فروع الطب .

.. فى الحقيقة إن هناك أساساً تشريحياً وفسيولوجياً لاضطرابات العقل مثل بقية الأمراض الأخرى المعروفة لدينا .. ولكن الأمر يحتاج لإيضاح أكثر ..

إذا قلنا مثلاً : إن طبيب الرمد يتعامل مع اضطرابات الرؤية ، فإننا حينما نتساءل وما هى الرؤية ؟ فإن الإجابة تكون على النحول التالى : الرؤية هى وظيفة هامة للإنسان من خلالها يرى العالم من حوله ، وإن أى خلل فى هذه الوظيفة يستوجب العلاج عند طبيب متخصص .. وعملية الرؤية تؤدَّى من خلال جهاز يسمى الجهاز

البصرى الذى يتألف من العين والعصب البصرى وبعض مراكز المخ .. وكذلك إذا قلنا : إن طبيب الصدر يتعامل مع اضطرابات التنفس .. والتنفس وظيفة تؤدَّى من خلال الرئتين والقصبة الهوائية ..

إذن هناك وظائف تؤدَّى بواسطة أجهزة معينة .. وهكذا العقل وظيفة أو مجموعة من الوظائف يطلق عليها الوظائف العقلية مثل التفكير والإدراك والعاطفة والإرادة ..

وهنا نسأل : ومن الذى يؤدى هذه الوظائف .. ؟ ما هو الجهاز أو العضو الذى من خلاله نفكر وندرك ونشعر .. ؟

الإجابة ليست صعبة خاصة بعد اكتشاف الكثير من مراكز المخ ومعرفة وظائفها .. فالكثير من هذه الوظائف العقلية تؤدَّى من خلال مراكز مخية ..

إنه المخ مركز العقل .. أو العقل الذى مركزه المخ .. وقبل ذلك قالوا : إن العقل مركزه فى الحجاب الحاجز الذى يلعب دوراً كبيراً فى عملية التنفس .. ومن قبل أيضاً قالوا : إن العقل مركزه الخصيتين وهما أيضاً مركز استمرار الحياة بالتعاون مع المبيضين عند الأنثى .

والعلم الحديث بوسائله المتطورة استطاع أن يتعرف على الكثير من وظائف المخ ، واستطاع أن يكتشف الهورمونات العصبية المتمركزة فى هذه المراكز واستطاع أن يتعرف على طبيعة عمل الخلية العصبية فى المخ ، بل استطاع أن يلتقط منها إشارات كهربية ويسجلها على الورق بواسطة جهاز رسالم المخ الكهربى ..

.. ولكن الأمر ليس بهذه الصورة المبسطة جداً .. فمراكز المخ متصلة ببعضها البعض ، ويؤثر كل منها على الآخر .. فالمخ يعمل كوحدة واحدة وليس كأجزاء منفصلة .. فكلمة مركز .. Centre معناها خلايا متخصصة لأداء وظيفة معينة .. وقد تتعاون عدة مراكز لأداء وظيفة واحدة وهذه المراكز تتأثر بهورمونات عصبية تفرز محلياً فى المخ .. وأيضاً تتأثر بهورمونات الجسم عامة .. وتتأثر أيضاً بكمية الأكسجين المشبع بها الدم .. وتتأثر بعمليات الأيضى المختلفة التى تتم فى الجسم .

إذن هى مجموعة من الأجهزة تتضافر لكى تؤدى الوظائف العقلية على أكمل وجه .. ولكن المراكز الأساسية موجودة فى المخ حتى إننا بإطمئنان نستطيع أن نشير إلى المخ ونقول : إنه مركز للعمليات والوظائف العقلية وإن الاضطرابات العقلية تنشأ أساساً من خلل فى هذه المراكز ..

إذن الطبيب النفسى هو طبيب تخصص فى المراكز المخية المسئولة عن العمليات العقلية ، ويهتم أيضاً بكل العوامل التى تؤثر على هذه العمليات العقلية ، سواء أكانت مرتبطة بالجسد أم مرتبطة بالبيئة والمجتمع والثقافة ..

حقيقة أن العقل مركزه المخ وأن الاضطرابات العقلية هى اضطرابات مادية ولكن يجب ألا ننسى أن المخ مسئول أيضاً عن العاطفة وعن التذكر وعن التعلم وعن السلوك وكلها نشاطات تتأثر بالبيئة وبالمجتمع وبالثقافة .. الإنسان ليس فقط كائناً مادياً .. ولكنه أيضاً كائن معنوى .. مراكز مخه تتأثر بالالتهابات الفيروسية ولكن نفس هذه المراكز تتأثر بإبتسامة إنسان آخر .. وتتأثر بدموع إنسان آخر .. وتتأثر بقطعة موسيقى يسمعها .. وتتأثر بأفكار معينة تؤثر تأثيراً جذرياً على سلوكه ونظرته للحياة وفلسفته وأسلوب حياته ..

ولذلك فالنظرة للطب النفسى على أنه تشريح وفسيولوجيا وكيمياء ، هى نظرة قاصرة ومحدودة .. والأمراض لا تنشأ فقط من خلل كيميائى ولكنها تنشأ أيضاً من الضغوط الاجتماعية والتى تتمثل أساساً فى اضطراب علاقة الإنسان بإنسان آخر ..

.. ولكن ما هى الأمراض التى تندرج تحت هذا الفرع من الطب ؟

تصنيف الأمراض

ما زال الجدل قائماً حتى هذه اللحظة حول تصنيف الأمراض النفسية والعقلية .. والسبب فى هذه الحيرة هو أن أسباب هذه الأمراض غير معروفة بالكامل .. فالوضع يبدو أكثر استقراراً فى فروع الطب الأخرى كأمراض القلب وأمراض الكلى .. إلخ . لأن الكثير من أسباب هذه الأمراض معروف ، ولذا أمكن تقسيم هذه الأمراض إلى مجموعات حسب أسبابها .. أما التقسيم فى الطّب النفسى فمبنى على الأعراض ، حيث إن كل مجموعة من الأمراض لها أعراض وسمات مشتركة ..

والمجموعتان الأساسيتان هما : مجموعة الأمراض النفسية ومجموعة الأمراض العقلية .. وهذا التقسيم يعنى أن النفس والعقل شيئان مختلفان ما دام كل منهما قد اختص بمجموعة خاصة من الأمراض ..

ولكن الحقيقة أن النفس والعقل هما شيء واحد ، وأن ننسب مجموعة من الأمراض إلى النفس ، ومجموعة أخرى إلى العقل أمر خاطىء بالرغم من أن هناك فعلاً مجموعتين مختلفتين من الأمراض ، وكل مجموعة تتميز بأعراض تختلف تماماً عن المجموعة الأخرى .

فالخطأ لغوى ، وتستعمل حالياً كلمة عصاب بدلاً من نفسية ، وكلمة ذهان بدلاً من عقلية ، فهناك أمراض عصابية « نفسية » Neurosis وأخرى ذهانية « عقلية » Psychosis .

.. ما هى الفروق بين هاتين المجموعتين .. ؟

.. من هو المريض النفسى ؟ ومن هو المريض العقلى ..؟

.. لا يوجد ثمة تشابه بينهما .. فهمنا مجموعتان مختلفتان ، وبالتالى فهما مريضان مختلفان .. والاختلاف ليس كمي أى فى شدة الأعراض ولكنه اختلاف كيفى أى أن الأعراض مختلفة تماما وتبدو وكأن كل مجموعة تأتى من منبع مختلف ..

.. من هو المريض النفسى « العصابى » ؟

قد أكون أنا ، وأنا أكتب هذه الكلمات فى هذه اللحظة ، وقد تكون أنت ، وأنت تقرأ هذه الكلمات فى هذه اللحظة .. وقد يكون أى إنسان آخر تعرفه حق المعرفة وتراه فى كل يوم ، بل وتعيش معه ولا يبدو عليه إطلاقاً أنه مريض ، بل يبدو عاقلاً متزناً ، طبيعياً تماماً فى مظهره وسلوكه وطريقة تفكيره .

ولكن .. إنه يعانى من الداخل .. يعانى دون أن يلحظ أحد أنه يعانى .. يتألم ربما إلى حد العذاب .. وإلى حد عدم الاحتمال .. ولكنه يكتم انفعاله بالألم ويحاول جاهداً أن يبدو طبيعياً .. وربما يبوح بمعاناته لأقرب الناس إليه أو يسجلها على الورق أو .. أو يذهب إلى متخصص لمساعدته .. ولكن فى أى الأحوال هو يدرك تماماً أن هناك أمراً غير طبيعى ، بل أمراً غريباً غير مألوف وهو أمر جديد وطارىء عليه لم يكن يعانى منه من قبل يحار فى هذه الأعراض ، ويحار فى سببها ، ويحاول أن يتخلص منها ، ويتعذب بها ، ويداريها ويخفيها إذا كانت شديدة الغرابة أو تدعو للخجل ، أو إذا كانت مكانته الاجتماعية أو العائلية تمنعه من الشكوى والظهور بمظهر الضعيف .. ولكن هناك درجة لا يستطيع معها إنسان أن يتحمل ..

وكما أن هناك درجات من الألم العضوى فإن هناك درجات من الألم النفسى .. والألم النفسى فى حالة المرض النفسى قد تصل شدته إلى الحد الذى يعوق الإنسان عن العمل أو عن ممارسته حياته اليومية ، بل قد يؤدى إلى اضطراب فى كل مجالات حياته وأحياناً إلى حالة من التوقف ويصبح عاجزاً تماماً .. وفى هذه الحالة يسأل أين أجد المساعدة من أجل الخلاص من هذه الحالة .. ؟ .. وهذا السؤال يعنى أنه مستبصر بحالته ..

والاستبصار Insight هو أحد الفروق الهامة بين المرض النفسى والمرض العقلى .. فبينما المريض النفسى يدرك أنه يعانى من حالة غير طبيعية تستوجب العلاج ويسعى إلى ذلك سعياً جاداً إلا أن المريض العقلى لا يعرف مطلقاً أنه مريض بل يقاوم هذه الفكرة ويثور على من يتهمونه بها ، بل ويعتقد أن الآخرين هم المرضى .. وهذا يعنى أنه منفصل عن الواقع ، ولعل هذا هو الفرق الثانى والهام بين المرض النفسى والمرض العقلى ..

فهناك واقع نعيش فيه ونعيش به ومن خلاله نتعامل مع الآخرين وتمضى حياتنا من لحظة إلى أخرى .. ولا تنفصل عن هذا الواقع إلا بالنوم أو ا لموت .. فالنوم ينقلنا إلى عالم آخر ، وكذلك يفعل بنا الموت ، أما فى حالة اليقظة فهناك واقع نلمسه بأيدينا ونشمه بأنوفنا ونراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا .. واقع نشترك فيه جميعاً ونتفق عليه جميعاً وإلى حد كبير نقبله جميعاً .. ولكن الأهم أننا نتفق عليه أو نتفق على وجوده أو على الأقل لا نختلف على عدم زيفه .. ونحن نتصل بهذا الواقع عن طريق حواسنا فنرى ونسمع ونشم ونلمس ونتذوق .. ونتصل به أيضاً عن طريق عقولنا أو بالأصح عن طريق التفكير الذى يهدينا إلى صدق هذا الواقع وإلى اتفاقنا مع الآخرين عليه وهو ما يعرف بالتفكير المنطقى ..

ولعل الأمر يحتاج إلى مزيد من الإيضاح .. فإذا كنت تجلس فى المنزل بمفردك وسمعت صوتاً ينادى اسمك ، فإنك سوف تقوم من فورك لتبحث عن مصدر لهذا الصوت وإذا لم تعثر على أحد فقد ينتابك بعض الانزعاج .. لماذا قمت من مكانك لتبحث عن مصدر الصوت ؟ ولماذا انزعجت .. ؟ الإجابة لأن الواقع يملى علينا أن أى صوت لا بد أن يكون له مصدر ، وأنه من غير المنطقى أو من غير الواقعى أن نسمع صوتاً دون أن يكون هناك مصدر نستطيع أن نراه أيضاً لهذا الصوت .

نفترض أنك سمعت الصوت يناديك مرة أخرى . ماذا ستفعل ..؟ ستهب من مكانك وأنت فى غاية القلق وستبحث فى كل الحجرات وتفتح باب شقتك ثم تفتح النافذة لتطل على الشارع .. وإذا لم تجد أحداً فإن خوفاً شديداً سوف ينتابك .. فإذا سمعت الصوت للمرة الثالثة فإنك سوف تردد عبارة واحدة : لقد جننت .. هذا معناه

أنك مرتبط بالواقع .. وأنك لست مريضاً عقلياً .. لقد اتهمت نفسك بالجنون ورفضت أن تقبل فكرة أنه يحتمل أن يكون هناك صوت بلا مصدر ..

الإنسان السليم) عقلياً ، والإنسان المريض نفسياً كلاهما مرتبط بالواقع .. أما المريض العقلى فهو منفصل عن الواقع .. فهو يسمع أصواتاً تناديه أو تتحاور معه أو تعلق على تصرفاته دون أن يكون هناك مصدر لهذه الأصوات ولكنه يقبلها كحقيقة وكواقع .

المريض العقلى قد يتعتقد أنه مراقب بواسطة أحد الأقمار الصناعية أو أن أعداءه يلتقطون له صوراً وهو عار فى حجرة نومه عن طريق كاميرات خاصة .. هذه الأفكار الخاطئة تعرف باسم الهذاءات أو الضلالات وهى تعنى أنه يؤمن بفكرة خاطئة لا يوافقه عليها أحد ولا يمكن زحزحته عنها ، وإقناعه بعدم واقعيتها .. والهذاءات تعبر عن قمة انفصال المريض عن الواقع .. لأن الواقع العلمى يقول لنا : إنه لا يمكن أن تتم مراقبة إنسان عن طريق القمر الصناعى وأيضاً لا توجد كاميرات تخترق جدران الحائط وتخترق ملابس الإنسان وتصوره عارياً ، وأيضاً التفكير المنطقى أو الواقعى لا يقبل فكرة المراقبة أساساً ، لأنه ليس هناك ما يدعو لذلك .

ولاشك أن الارتباط بالواقع هو المرادف للصحة العقلية .. فهو الذى يحفظ لنا الإحساس بالتوازن .. هو الذى يجعلنا نشعر بأرجلنا وهى تلامس الأرض وهى تخطو للأمام .. هو الذى يجعلنا ندرك الأسباب والعلاقات ونتوقع النتائج .. هو الذى يجعلنا مربوطين بالآخرين ، بل ومقبولين منهم فبدون ذلك يصبح الإنسان منبوذاً أو طريداً .. فالواقع هو الذى يحزم الجميع بحزام واحد ويشدهم إلى أرض واحدة كالفريق الذى يلعب مباراة لها قوانينها وقواعدها وأصولها ، ومن يشذ عنها أو يرفضها أو يستبدلها بغيرها يخرج من الملعب .

وقوانين الواقع يكتسبها الإنسان تدريجياً منذ اللحظة الأولى التى يفد فيها إلى الحياة ومع نمو قدراته الذكائية وتقدمه تعليمياً يصبح قادراً على التفرقة بين الحقيقة والوهم وبين الصدق والزيف ، ويصبح قادراً على التفكير المنطقى والتفكير العلمى .. ولا بد أن نسلم أن البيئة والثقافة يسهمان فى تشكيل إدراك الإنسان للواقع ..

ففى البيئات والثقافات التى تؤمن بالسحر نجد أن أفرادها يؤمنون بهذه الأفكار .. فإذا جاءتنا سيدة تقول : إنها لا تنجب لأن هناك من سحر لها فهذا لا يعنى أنها مريضة عقلياً وأنها منفصلة عن الواقع فقد تكون البيئة التى تربت فيها تؤمن بنفس الأفكار .. أما إذا جاءتنا طبيبة متخصصة فى أمراض النساء وقالت : إنها لا تنجب لأن رحمها أصابه تسمم بفعل سحر من سيدة أخرى تغار منها ، فإننا نشك فى الحالة العقلية لهذه الطبيبة لأنها انفصلت عن واقعها العلمى ..

والانفصال عن الواقع يقود إلى اضطراب السلوك . فالإنسان الذى يعتقد أنه مضطهد من جاره قد يتشاجر مع هذا الجار ويعتدى عليه ويشكوه إلى الشرطة .. والإنسان الذى يعتقد أنه نبى قد يترك عمله ويعرض أطفاله للضياع .. فالسلوك أحد المظاهر الهامة التى نستدل بها على طبيعة الحالة التى يعانى منها المريض .. فإذا تصورنا مثلاً رجلاً خرج من بيته إلى عمله بملابس النوم فإن هذا السلوك غير الطبيعى يدل على أنه منفصل عن الواقع وأنه مصاب باضطراب ذهانى ..

وفى النهاية فإنه لا شك أن المرض العقلى إذا استمر دون علاج فإنه يسبب تدهوراً فى شخصية المريض فقد يفقد عمله أو يفصل من دراسته ، ويفقد أسرته إذا كان متزوجاً بالطلاق أو الانفصال ، ويتركه أصدقاؤه ويهمل هو فى مظهره ويتأثر مستواه الاقتصادى .. مثل هذا التدهور لا يحدث للمريض النفسى إطلاقاً إلا إذا كانت الأعراض شديدة وتجعله عاجزاً عن الاستمرار فى عمله وفى علاقاته ..

وعلى هذا يمكن إيجاز أهم الفروق بين المرض النفسى والعقلى فى النقاط التالية : المريض النفسى مرتبط بالواقع مثل الإنسان السوى تماماً . وهو مستبصر بحالته ويذهب للمتخصص ليخلصه من أعراضه كما لا يعانى من هلاوس أو اضطراب فى التفكير وسلوكه سوى ولا يعانى من أى تدهور فى شخصيته .. على عكس المريض العقلى الذى انفصل عن الواقع ، وغير مستبصر بمرضه ، ويعانى من الضلالات والهلاوس ، ويضطرب سلوكه ، ومع إهمال العلاج تتدهور شخصيته ..

والمرض الذهانى « العقلى » قد يحدث لأسباب عضوية ، بمعنى وجود مرض آخر فى الجسم وفى هذه الحالة يعرف باسم الذهانى العضوى Organic Psychosis وهذا

يختلف عن الذهانى الوظيفى Functional Psychosis الذى لا يعانى فيه المريض من أى علة عضوية ..

.. وفى الذهان العضوى قد يكون السبب تصلب فى الشرايين أو حمى مخية أو نقص فى الفيتامينات أو نقص فى المعادن والأملاح أو اضطراب فى الغدد الصماء .. الخ . وفى هذه الحالة سوف يجد الطبيب أعراض المرض الأصلى العضوى بالإضافة إلى الأعراض العقلية .. أما فى حالة الذهان الوظيفى فهناك فقط الأعراض العقلية .. ولكن ليس معنى هذا أنه لا يوجد سبب للذهان الوظيفى .. بل السبب عضوى أيضاً ولكن فى صورة اضطرابات كيميائية فى بعض مراكز المخ ، أمكن حديثاً الكشف عنها ..

والمرض العقلى العضوى له نفس أعراض المرض العقلى الوظيفى بالإضافة إلى أعراض المرض العضوى الأساسى .. وأيضا لا بد أن تكون هناك درجة ما من اضطرابات الوعى أو اضطراب الذاكرة ..

.. ثم نأتى إلى مجموعة ثالثة من الاضطرابات ما زال العلم حائراً فى أمرها حتى الآن وهى اضطرابات الشخصية Personality Disorders .

.. إنه الإنسان الذى لا يعانى من مرض نفسى أو مرض عقلى ولكنه يعانى أو يعانى منه الآخرون لإنه غير قادر على التكيف .. هناك سمات خاصة فى شخصيته تجعله عاجزاً عن هذا التكيف .. سمات متطرفة غير مقبولة من الآخرين لأنها تعوق الاتصال أو التعاون أو التعامل فى إطار اجتماعى إنسانى مقبول ومرضى لكلا الطرفين .. فالعلاقة مع هذا الإنسان تسبب إنهاكاً أو ضرراً ولا تحقق الحد الأدنى من الأرضاء الذى يتوقعه كل إنسان فى علاقاته بالآخرين .. فالإنسان منذ ميلاده وحتى نهاية حياته ومنذ استيقاظه كل صباح وحتى نومه يدخل فى شبكة من العلاقات الإنسانية مع مجموعة من البشر ثابتين ومتغيرين يعطون له ويأخذون منه من أجل نفع مادى أو معنوى يعود على كلا الطرفين .. والإنسان الذى لديه سمة أو مجموعة من السمات المتطرفة يجد صعوبة فى التكيف ، أى صعوبة فى التعامل مع الآخرين .. فإذا تصورنا إنساناً يتسم بالبخل الشديد فإن هذا الإنسان سوف يواجه صعوبات فى أى علاقة مالية مع إنسان آخر ، وكذا الإنسان الذى يتسم بالشك الشديد فى كل من حوله سيكون فى

حالة قلق دائم وسوف يعانى من يتعاملون معه من شكه الزائد وقد ينقلب فى بعض الأوقات إلى إنسان عدوانى ..

وكذلك الإنسان الذى يتسم بتبلد عواطفه وأنانيته الشديدة وعدم مراعاته لمشاعر الناس وكذلك عدوانيته وقسوته .. هذا الإنسان سوف يسلك سلوكاً ضد المجتمع وسوف يعانى الناس منه مادياً ومعنوياً .

تلك كانت نماذج سريعة ومختصرة لبعض اضطرابات الشخصية التى سوف نتعرض لها تفصيلاً بعد ذلك .. ولكن من المهم التأكيد فى هذه المرحلة على أن هذا الإنسان الذى يعانى من اضطراب الشخصية نادراً ما يتألم ولكنّ الآخرين هم الذين يعانون أكثر .. ومن المهم أيضاً التأكيد على أنه لا يعانى من أى مرض نفسى أو عقلى ولكن اضطرابات الشخصية قسم قائم بذاته فى تقسيمات الطب النفسى ..

وفى التقسيمات الحديثة تندرج الاضطرابات الجنسية والإدمان تحت اضطرابات الشخصية .. أى أن فصل اضطرابات الشخصية يشتمل أيضاً على حالات الاضطرابات الجنسية وحالات الإدمان على أساس أن هذه الاضطرابات تمثل شكلاً من أشكال اضطرابات الشخصية .. ولكن تواجهنا هنا مشكلة هامة وخطيرة وهى موقف المجتمع من هذه الاضطرابات خاصة الجنسية .. فلكل مجتمع موقفه الخاص من المشاعر والسلوك الجنسى وبالتالى فإن ما ينظر إليه فى مجتمع ما على أنه سلوك شاذ أو سلوك مرضى قد ينظر إليه فى مجتمع آخر على أنه سلوك طبيعى .. والدليل على ذلك أنه فى ا لتقسيم الأمريكى الثالث للأمراض تم رفع الجنسية المثلية « اللواط » من قائمة الأمراض ما دام صاحبها متوافقاً ولا يعانى من هذا السلوك .. وهذا موقف أو رأى خطير يعكس مدى أهمية العامل الاجتماعى البيئى فى التأثير على مفهوم الأطباء النفسيين أنفسهم عن الأمراض وأساليب علاجها ..

.. واستقلت الأمراض النفسية والعقلية التى تصيب الطفل بقسم خاص سمى « طب نفسى الطفل » وكذلك هناك « طب نفسى المسنين » .

.. واضطراب السلوك فى المرض العقلى قد يؤدى إلى أفعال يعاقب عليها القانون ..

وكان لابد من الاهتمام بهذه الحالات لفهم الدوافع النفسية وراء ارتكاب الجرائم .. وهذا الفرع سمى الطب النفسى الشرعى ..

.. ومع طول معاناة النفس يتأثر الجسد ويصاب هو أيضاً بعلة عضوية سببها نفسى .. وبذلك يكون لدينا مجموعة من الأمراض العضوية التى يقف فيها العامل النفسى كسبب رئيسى وتسمى هذه المجموعة بالأمراض النفسجسمية ..

وبذلك يكون الشكل التقسيمى لأمراض الطب النفسى كالآتى :

١ - الأمراض العصابية « النفسية » Neuroses

وتشتمل هذه المجموعة على الأمراض الآتية :

(أ) القلق النفسى Anxiety Neurosis .

(ب) الوسواس القهرى Obsessive Compulsive Neurosis .

(جـ) الهستيريا Hysterical Reaction .

(د) الاكتئاب التفاعلى Reactive Depression .

(هـ) المخاوف Phobic Reaction .

٢ - الأمراض العقلية Psychosis

- الأمراض العقلية الوظيفية Functional Psychosis .

وتشتمل على :

(أ) الفصام « الشيزوفرينيا » Schizophrenia .

(ب) الاكتئاب الذهانى Psychotic Depression .

(جـ) الهوس أو المرح الحاد وتحت الحاد Mania and Hypomania .

(د) اكتئاب سن اليأس Involutional Melancholy .

- الأمراض العقلية العضوية Organic Psychosis .

٣ – اضطرابات الشخصية Personality Disorders .

٤ – طب نفسى الأطفال Child Psychiatry .

٥ – طب نفسى المسنين Psycho - Geriatrics .

٦ – الطب النفسى الشرعى Forensic Psychiatry .

٧ – الأمراض النفسجسمية Psycho - Somatics .

القلـق النفسـى

Anxiety Neurosis

من هو أقوى الأقوياء وأشجع الشجعان الذى لا يخاف ولا يجزع ولا يقلق ولا يتوتر ولا يأرق ، واثق من حاضره ومطمئن لمستقبله ، لا يتوقع سوءاً ولا ينتظر مشكلة ولا يخشى أزمة مفاجئة .. يأكل بشهية وينام بعمق ويتنفس بارتياح .. خطواته هادئة ويداه ثابتتان وعضلاته مسترخية وعيناه تُوحيان بالثقة والطمأنينة ..

.. هل خلق مثل هذا الإنسان الذى لا يعرف القلق ؟ وإذا وجد فهل هو إنسان طبيعى وهل مثله كثيرون ؟

.. وما معنى حياة لا يجد فيها الإنسان قلقاً أو خوفاً أو هماً .. ؟

.. وما معنى حياة يتوقع الإنسان منها أن تمضى دائماً هادئة وسهلة كبحيرة ساكنة ، لا تحركها رياح مفاجئة ولا يقلقها فيضان مفاجىء .. ؟

.. هذا الإنسان غير موجود .. وليست هكذا الحياة ..

.. والإنسان الذى لا يستشعر قلقاً أو خوفاً أو بؤساً مصاب فى وجدانه ، وتلك حالة مرضية أخرى ..

.. والحياة المستقرة الوادعة المبهجة ، لا يراها الإنسان إلا فى الأحلام أو تحت تأثير مخدر ..

.. خلق الإنسان .. وخلق معه القلق .. أو خلق القلق ثم خلق له الإنسان ليكابده ..

ما هو القلق .. ؟

هو أن تكون توقعاتك غير مؤكدة وغير مضمونة النتائج الحسنة ..

أن يكون توقعك لعدم التوفيق معادلاً أو يزيد عن توقعك للتوفيق .. أن تتطلع باهتمام وحدة ، أن تعيد حساباتك أكثر من مرة ، أن تحسب خطواتك ، أن تزيد من حدة تركيزك حتى تزيد من احتمالات التوفيق ، ومع ذلك يظل بداخلك إحساس بالخوف والتوتر حتى يتحقق لك ما تريد .. ومع ذلك لا يزول الخوف نهائياً حيث يتولد خوف جديد وهو الخوف من ضياع ما حققت والرغبة فى تحقيق المزيد من أجل مزيد من التأمين والطمأنينة ..

.. وإذا تطلع الإنسان إلى ماضى حياته لوجدها سلسلة متعاقبة من حالات القلق تقل وتزيد تبعاً لأحداث الحياة ولكنها أبداً لم تتركه ، ولكن ذلك لم يتعارض مع استمتاعه بالحياة ، بل إن لحظات الاستمتاع الحقيقية كانت تلك التى تعقب قلقاً حاداً .

.. وإذا نظرنا حولنا لوجدنا اختلافاً بين الناس فى درجات إحساسهم بالقلق .. ولوجدنا أيضاً أن بعض الناس يقلقون بشدة من أجل أشياء بسيطة ، أى أن درجة أو حدة قلقهم لا تتناسب مع المؤثر أو الباعث على القلق ، وآخرون فى حالة قلق دائم دون أن يكون هناك أى سبب لذلك بل هم أنفسهم يعجبون لم يقلقون ، أو يخافون بلا مصدر لتلك المشاعر المعذبة ؟ ونرى آخرين ينهارون وينتابهم رعب أو فزع أيضاً بلا سبب أو لأسباب واهية ..

.. إذن هناك أنواع ودرجات من القلق ، حسب السن والجنس والظروف والبيئة والتكوين ..

وإذا أردنا التبسيط فهناك نوعان أساسيان من القلق : القلق الطبيعى والقلق المرضى ..

.. والقلق الطبيعى هو الذى يمكن أن نطلق عليه القلق الصحى أو القلق الأساسى فى حياة الإنسان . أو القلق المفروض علينا أو القلق الذى خلقنا به ، أو القلق الذى لا حياة بدونه أو القلق الذى لا معنى للحياة بدونه ، أو القلق الذى إذا اختفى أصبح الإنسان مريضاً متبلد الوجدان ، أو القلق الذى هو أساس تطور وتقدم الحياة ، وتطور الإنسان ذاته فى حياته الشخصية ، وهو القلق الذى لا غنى للأديب والفنان والمبدع عنه ..

وهذا معناه أن هذا القلق لا يعوق حياة الإنسان ولا يعطلها ، بل على العكس يدفعها إلى الأمام ، وأن المعاناة منه ليست مرفوضة بل هى، تقود بعد ذلك إلى المتعة والراحة ..

ونجد العكس بالنسبة للقلق المرضى .. فهو معذب .. وهو مرهق .. وهو أيضاً مؤذ ومعطل ومعوق لحياة الإنسان ..

.. ما هو القلق المرضى .. ؟

هو إحساس غامض غير سار يلازم الإنسان .. غامض بمعنى أنه لا يفهم المصاب به طبيعة هذا الإحساس ؟ ولا كيف جاء ؟ ولماذا يسيطر عليه ؟ .. وهو غير سار بمعنى أنه يدعو للضيق وعدم الارتياح ، وهو يلازم الإنسان كل الوقت أو معظمه ، وأساس هذا الإحساس هو الخوف .. الخوف من لا شىء .. الخوف من مجهول .. شىء مبهم .. شىء غامض .. ليس هذا فقط بل يصاحب ذلك التوقع السىء .. التوقع لمصيبة سوف تحدث ويظل ينتظرها ويترقبها وهو لا يعرف طبيعتها ، ولا من أين ستجيئه ، ولماذا ستصيبه ؟ تماماً كالذى يقف فى حجرة لها منافذ متعددة ولا يعرف من أى منفذ سيأتيه الخطر ولهذا يقف فى وسطها زائغ العينين ، وقد ينهار مستسلماً .

ولهذا فهناك حالة دائمة من التحفز تؤدى إلى الشعور بالتوتر وعدم القدرة على الاسترخاء واستحالة التركيز وبالتالى استحالة التمتع بأى شىء فى الحياة ..

ولا شك أن كل هذه المشاعر غير السارة يصاحبها إحساس بالاكتئاب ، فلا قلق بدون اكتئاب ولا اكتئاب بدون قلق ..

.. والقلق النفسى Anxiety Neurosis هو مرض عصابى « نفسى » ويأتى فى صورة مستقلة ، ولا علاقة له بالمرض العقلى ويكون المريض مستبصراً بطبيعة حالته أى يدرك أنه يعانى من حالة غير طبيعية ويريد الخلاص منها ولا يتأثر سلوكه بحالته كما لا تؤثر على شخصيته ..

.. ولكن القلق قد يظهر كعرض فى بعض الأمراض العقلية وأيضاً فى بعض الأمراض العضوية وأهمها على الإطلاق مرض تسمم الغدة الدرقية ونقص السكر فى الدم ونقص بعض الفيتامينات وبعض أورام الغدة فوق الكلوية ..

ومرض القلق النفسى له أعراض كثيرة ومتعددة نفسية وعضوية .. عضوية بمعنى أنه يشعر بتغيرات وآلام فى جسمه .. وهذه الأعراض الجسدية سببها اضطراب الجهاز العصبى اللا إرادى فى حالات القلق ، وهو جهاز مستقل يغذى الأحشاء الداخلية كالقلب والرئتين والمعدة والأمعاء وأعضاء التناسل والأوعية الدموية .. هذا الجهاز يعمل تحت سيطرة جزء هام فى المخ يعرف باسم « الهيبوثلاموس » « المهاد التحتانى » Hypo thalamus .. والذى هو مركز الانفعال .. وفى الانفعال الزائد كما فى حالات القلق يزداد نشاط الجهاز العصبى اللا إرادى بنوعيه السيمبثاوى والباراسيمبثاوى .. وتفرز مادة الادرينالين فى الدم .. وهذه المادة هى المسئولة عن كثير من الأعراض التى يشعر بها مريض القلق النفسى .. ومادة الأدرينالين ترفع ضغط الدم وتسبب زيادة العرق وتؤدى إلى ارتعاش الأطراف وجفاف الحلق وشحوب الجلد ..

أما اضطراب الجهاز الباراسيمبثاوى فيؤدى إلى الإسهال وكثرة البول ..

ومن أكثر الأجهزة حساسية وتأثراً بحالة القلق ، القلب فتزيد سرعة دقات القلب التى قد تفقد انتظامها فيشعر المريض بإحساس غير مريح كأن شيئاً يسحب إلى أسفل داخل صدره كما يشعر بنبضات قلبه ، وقد يصاحب ذلك آلام فى الجهة اليسرى مع ارتفاع بسيط فى ضغط الدم .. وهنا يقلق المريض أكثر على قلبه وقد يعتقد أنه مصاب بمرض فى القلب ويتردد على أطباء القلب ورغم ما يؤكدونه له من سلامة قلبه إلا أنه يظل قلقاً ، وهو معذور لأنه يشعر بأعراض فعلية ولكنه لا يقتنع أن مرجعها حالة القلق التى يعانى منها ..

.. وأيضاً كل اضطرابات الجهاز الهضمى يمكن أن يعانى منها مريض القلق كالقيىء والغثيان والإسهال والإمساك وصعوبة البلع والانتفاخ وسوء الهضم وازدياد الحموضه وآلام المعدة والقولون ..

.. وقد تكون أعراض اضطرابات الجهاز الهضمى هى الوحيدة دون وجود أعراض أخرى للقلق وهذا المريض بالطبع سوف يتردد على أطباء الجهاز الهضمى وتثبت كل الفحوص أنه سليم عضوياً وأنه بحاجة للعلاج النفسى .

والجهاز البولى والتناسلى ذو حساسية خاصة لحالات القلق فيشعر المريض بالرغبة المستمرة فى التبول وقد يصاحب ذلك آلام فى المثانة . وضعف الانتصاب وسرعة القذف من أهم أعراض القلق .. وكذلك معظم اضطرابات الدورة الشهرية عند النساء وزيادة الآلام المصاحبة لها نفسياً وجسدياً .. وفى حالات القلق الحادة تعانى المرأة أيضاً من البرود الجنسى .. وكيف يستجيب جنسياً من لديه قلق وخوف وتوتر وتحفز !! الجنس حالة وجدانية وفسيولوجية فى نفس الوقت .. والإثارة الجنسية تتأثر بالحالة الانفعالية .. والانفعال يصاحبه زيادة فى نشاط الجهاز السيمبثاوى والذى يؤدى إلى سحب الدم من أعضاء التناسل مما يسبب سرعة القذف والارتخاء .

.. ومن أبرز أعراض الألم .. ألم عضلى أى ناشىء من توتر العضلات وقد يشعر بها المريض فى صدره أو ظهره أو رقبته أو يديه وقدميه وقد تأتى فى صورة صداع نتيجة لتوتر عضلات الرأس .. وشكوى الصادع من الشكاوى التقليدية والشائعة بين مرضى القلق النفسى ..

.. والدوخة والتنميل وصعوبة التنفس والاحساس بضيق أو ضغط على الصدر من الأعراض التى يعانى منها مريض القلق خاصة فى الانفعالات الحادة ..

.. ويقال عن جلد الإنسان إنه نافذه الجسم أى إن الاضطرابات الداخلية تظهر على الجلد .. وأستطيع أن أقول دون تجاوز : إن الجلد أيضاً هو نافذة النفس فمعظم الاضطرابات التى تصيب جلد الإنسان ترجع إلى الحالة النفسية المضطربة سواء بشكل حاد أو مزمن ، وكثير من الناس حينما يتعرضون لمواقف صعبة أو يمرون بانفعال شديد

تلتهب جلودهم بالإرتكاريا والإكزيما ويزداد حب الشباب ويسقط الشعر .. أما فى حالات القلق المزمن والاكتئاب فتظهر أمراض الجلد المزمنة مثل البهاق والصدفية ..

.. ومع استمرار القلق شهوراً وسنوات يئن الجسد بحمله ، ويصبح الأمر فوق طاقته فتتأثر أنسجته وكأن القلق سكين يذبح فى هذه الأنسجة فتظهر قرحة المعدة وقرحة القولون والربو الشعبى ، وإلتهاب المفاصل وتضطرب شرايين القلب .. إلى آخر قائمة طويلة من الأمراض تعرف باسم الأمراض النفسجسمية ، أو السيكوسوماتية ..

.. وكما يئن الجسد بأعراض القلق تئن النفس أيضاً .. فيصيبها الخوف والتوقع السيء والاضطراب والتوتر وعدم الاستقرار الحركي وسهولة الاستثارة ، فيثور أو يتهيج لأسباب بسيطة .. يشعر بأنه يغلى من الداخل أو كالذى يجلس على نار أو كالذى يمشى حافى القدمين فوق زجاج مكسور .. لا يدرى ماذا يريد ؟ أو ماذا يفعل ؟ أو أين يذهب ؟ وينتابه إحساس بالزهق وبالضيق وتلفه كآبة ويزهق أساساً من نفسه ومن كل شيء حوله وينسى لأنه لا يستطيع التركيز ولا يستطيع اتخاذ قرار لأنه ضعيف .. إنها حالة من انهيار قواه النفسية .. انهيار من الداخل لكل عناصر القوة والتماسك التى تجعله يمضى فى الحياة وهو فى حالة تبعثر وتشتت .. يفقد شهيته للطعام .. ويفقد أيضاً قدرته على النوم ، والأرق معذب .. ومع الأرق تزيد الهواجس والمخاوف والأوهام ويصبح قدوم الليل كالشبح المفزع ويبحث دون استشارة طبيب عن حبوب منومة أو مهدئة .. أى شيء ليهدىء النار التى فى صدره والثورة التى فى رأسه ..

ويضايقه عرق يديه الغزير ، ولعثمته وجفاف حلقه واحمرار وجهه وخوفه من الناس وهروبه منهم وعدم قدرته على المواجهة واهتزاز ثقته بنفسه وتردده ..

لماذا يصاب إنسان ما بالقلق النفسى ؟

.. هل هو الاستعداد الوراثى ؟

.. أم هو تكوين خاص يولد به الإنسان .. أى هكذا خلق بحساسية أو استعداد

خاص يجعله معرضاً فى وقت ما وتحت ظروف ما للإصابة بالقلق النفسى .. ؟

.. أم هى الطفولة غير السعيدة ، والتنشئة غير السوية ؟

.. أم هى الضغوط المستمرة التى تحاصر الإنسان من كل جانب والمشاكل المعقدة التى ليس لها حل ، وعجزه أمام صدمات الحياة المتكررة ؟

.. أم هو صراع يجعله منقسماً على نفسه من الداخل .. كالصراع بين الرغبات المتعارضة ؟

.. أم إن الأمر مرتبط بالسن والمنعطفات الهامة فى حياة الإنسان كالطفولة والمراهقة . واقتراب الشيخوخة .. ؟

.. أم أن الجنس له دور حيث ترتفع النسبة بين النساء وتزيد حدة القلق قبل الدورة الشهرية وأثناء الحمل وبعد الولادة ومع اقتراب سن اليأس .. ؟

.. يبدو أن حالة كل مريض تختلف عن الآخر ولكنّ أقرب الاحتمالات أن إنساناً ما يصاب بحالة القلق النفسى حين يكون لديه الاستعداد لهذا المرض ثم يتعرض بعد ذلك لضغوط تفوق قدراته على التحمل فتهز تكيفه وتفقده توازنه ..

.. وقد يصبح القلق مزمناً أى ملازماً للإنسان لفترة طويلة من حياته .. وقد يأتى فى صورة نوبات سرعان ما تزول ويعود إلى توازنه وتكيفه الطبيعى ، وقد ترتبط الأزمات بتعرضه للضغوط أو قد يعانى منها دون سبب واضح .. وأيضاً تختلف الحدة من إنسان لآخر وكذلك تختلف الأعراض فقد يأتى فى صورة عضوية فقط أو فى صورة نفسية فقط أو كلتيهما وقد يتركز القلق فى عضو واحد كالكبد أو المعدة أو فى صورة أرق أو فقد شهية ..

.. الأمر كله فى النهاية يتوقف على طبيعة الشخص وتكوينه واستعداده وظروفه الخاصة ..

.. ولكل داء دواء .. والتشخيص السليم ضرورة لبداية صحيحة .. ولكى يكون

العلاج فعالاً لا بد أن يكون التشخيص دقيقاً وسليماً .. لا بد من استبعاد الأسباب العضوية وأيضاً الأمراض النفسية والعقلية الأخرى حتى يتبقى لنا القلق النفسى كمرض عصابى مستقل .

.. وهناك اساليب متعددة للعلاج أهمها العلاج الكيميائى بالعقاقير المضادة للقلق وتعرف باسم « المطمئنات الصغرى » **Minor Tranquillizers** .

واشهر مجموعة من هذه المطمئنات تعرف باسم مجموعة « البنزوديازبين » Benzo-diazepines ومنها عقار « الفاليوم » و « الليبريم » و « الأتيفان » و « السيرباكس » و « الترانكسين » .. وتؤثر هذه العقاقير على منطقة فى المخ تعرف باسم « التكوين الشبكى » أو « التكوين العنكبوتى » **Reticular Formation** الذى يُعتقد أنه مصدر القلق حين يزداد النشاط والتنبيه فى هذه المنطقة .. وهذه العقاقير تزيل القلق وتقلل من توتر العضلات بل تؤدى إلى استرخائها والإحساس بالراحة والطمأنينة .. ولذا فإن العلاج بهذه العقاقير ضرورى فى الحالات الحادة ويمكن تناولها عن طريق الحقن فى الوريد أو العضل لتعطى تأثيراً سريعاً ..

ولا مانع من استعمال المنومات خاصة إذا كان المريض يعانى من الأرق ، وبعض مشتقات « البنزوديازبين » تستعمل كمنومات مثل « الموجادون » ، و « والروهيبنول » ، و «النرميسون » ..

وكل هذه العقاقير إذا استعملت تحت إرشاد الطبيب لا تسبب أية مضاعفات ولا يخشى من الأدمان ..

.. ومضادات الاكتئاب تستعمل أيضا فى علاج حالات القلق النفسى خاصة إذا كانت هناك أعراض اكتئاب واضحة والذى غالباً ما تكون موجودة مثل : « البارنيت – والبارستلين » والتى سنتحدث عنها بالتفصيل فى فصل الاكتئاب ..

.. ولكن العلاج الكيمائى وحده لا يكفى . فهذا الإنسان القلق يحتاج إلى الطمأنينة وإلى الإحساس بالأمان وذلك عن طريق المساندة والدعم والشرح .. وذلك ما يعرف باسم « العلاج النفسى » **Psychotherapy** .. وذلك عن طريق جلسات

نفسية حوالى ١٢ جلسة مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً والهدف منها هو التعرف على شخصية المريض وظروف نشأته والبيئة التى عاش فيها وثقافته وعلاقاته ومشاكله الراهنة وصراعاته الداخلية وإمكاناته فى مواجهة هذه المشاكل .. وبعد ذلك نشرح للمريض مصدر أعراضه وأسبابها أى نفسر له حالته ثم ننصحه بما يجب أن يفعله مستعينين بإرادة المريض ذاته بدون إملاء ، وإنما هدف العلاج هو انتشاله من حالة الضعف ليكون قادراً على اتخاذ القرار وهو فى حالة طبيعية ..

ويمكن للطبيب النفسى أن يتدخل لمساعدة المريض فى بيئته (الأسرة – العمل) إذا كانت حالته ترجع إلى أسباب متعلقة بالبيئة ..

والعلاج السلوكى فى حالات القلق النفسى يهدف أساساً إلى تعويد المريض على الاسترخاء ، ففى القلق تكون العضلات متوترة ومشدودة فتزيد من إحساس المريض بالقلق ، وقطع هذه الدائرة عند مستوى العضلات يجعل المريض يشعر بالاسترخاء وهذا يقلل من إحساسه النفسى بالقلق ويستطيع المريض أن يقوم بهذه العملية من خلال التوجيه الذاتى فيدعو عضلاته إلى الاسترخاء ولكن يجب أن نعطيه فكرة عن درجة توترها من خلال جهاز خاص يتصل من ناحية بعضلاته ثم يصدر صوتاً ينبىء بدرجة التوتر وكلما استرخت العضلة خفت الصوت حتى يستطيع المريض الاسترخاء الكامل ويسمى هذا الأسلوب فى العلاج « بالإعادة الحيوية » Biofeed Back Therapy ..

.. وأى أسلوب علاجى يفيد إذا كان الطبيب يؤمن بهذا الأسلوب .. وإذا صمم الطبيب على شفاء مريضه – بإذن الله – فسوف يساعده حقاً .. ومريض القلق النفسى يستريح إذا شعر أنه قال كل ما عنده .. ويستريح أكثر إذا شعر أن طبيبه قد فهم حالته .. ويستريح أكثر وأكثر إذا شعر أن طبيبه يهتم به ويبذل كل ما فى وسعه لمساعدته .. ولأن الله هو الشافى فإن الطبيب وعقاقيره ما هى إلا وسائل ، ولذا فإن الاعتماد على الله والتوجه إليه وامتلاء القلب بحبه ينزل على النفس برداً وسلاماً وطمأنينة ..

عصاب الوسواس القهرى

Obsessive Compulsive Neurosis

هو مرض عصابى أى نفسى أى إن المريض يدرك أنه مريض ، وهو مرتبط بالواقع ولا يعانى من ضلالات أو هلاوس ، ولا تعانى شخصيته أى تدهور .. بل يظل متماسكاً ويبذل جهداً فى تخبئة أعراض المرض وعدم البوح بها لأى إنسان مهما كانت درجة قرابته أو صداقته ، كما يتردد كثيراً فى زيارة الطبيب ، وتأتى هذه الزيارة بعد وقت طويل من المعاناة .. وأية معاناه !! لعله من أكثر الأمراض النفسية إيلاماً وتعذيباً لصاحبها .. وهو المريض الذى يتصور أنه على وشك أن يجن ويفقد عقله .. وهذا السؤال يكرره على طبيبه فى كل زيارة : هل سأجن ..؟ إن ما يحدث لى هو الجنون بعينه .. لا أحد يمكن أن يتصور أو يصدق أن هذه الأفكار تدور فى رأسى .. ولا أحد يمكن أن يصدق أن هذه الأفكار تهاجمنى وتسيطر علىّ ضد إرادتى ، وأننى أحاول التخلص منها ولكنى لا أستطيع ..

ما هذه المصيبة ؟؟ هل يمكن لإنسان أن يفقد السيطرة على أفكاره ؟؟ أيصبح العقل ألعوبة لأية أفكار تدخله ولا تبرحه وتظل تعربد وتعبث ولا تخرج إلا إذا حلت مكانها فكرة أخرى أكثر سخافة أو أكثر انحرافاً ؟؟ وما الإنسان دون أن تكون له السيطرة على أفكاره ؟! وما العقل دون أن تكون له القدرة على التفكير الحر الإرادى فى موضوع معين ثم التوقف عن التفكير فى الوقت الذى يشاء .. ؟

إن الحرية المطلقة التي منحها ا لله للإنسان هى حرية التفكير .. ملكية خالصة له ولا سيطرة لقوة عليه ، ولا حدود تقف أمامه .. ومن سمات العقل – وهو يقوم بالتفكير – استعمال المنطق والعلم وعرف الإنسان التفكير المنطقى وهو شكل من أشكال التفكير العلمى ، ولهذا فهو يرفض الأفكار الزائفة والخاطئة وغير المنطقية بسهولة ويسر تماماً مثلما يقذف بورقة فى سلة المهملات ..

إرادة الإنسان الواعية هى التى تستجلب أية فكرة ليعمل فيها العقل وهى أيضاً التى تطرد أية فكرة يرفضها العقل .. أنا إنسان ، معناها : أنا حر فى تفكيرى ، وعقلى حر فيما يفكر ..

أما أن تسيطر فكرة سخيفة وفكرة منحرفة وفكرة غير منطقية على عقلى دون أن أملك التخلص منها فهذا معناه أننى فقدت حريتى ، معناه الضعف والهزيمة ، معناه إهدار لأعظم قيمة يعتز بها الإنسان وهى القدرة على التفكير العلمى .. والاستسلام للسخافة . والانحراف مذلة ما بعدها مذلة ..

السجن وتعذيب الجسد لا يُذل الإنسان ولكن أن يفقد الإنسان إرادته وسيطرته على عقله فهذا هو الذل الحقيقى .. ومن السجان ..؟ من الذى سلبنى حريتى ..؟ من الذى ألغى إرادتى ..؟ من الذى جعل هذه الأفكار السخيفة تسيطر على عقلى وجعلتنى عاجزاً عن التخلص منها ..؟

.. المصيبة أننى لا أعلم .. ولذا ظللت مدة طويلة متردداً فى أن أبوح بسرى لأحد حتى لطبيب ..

.. هذه فى الغالب تكون بداية الكلمات التى تخرج من فم مريض عصاب الوسواس القهرى ..

.. ما هو هذا المرض ..؟

.. هو فكرة أو صورة ، أو رغبة اندفاعية ، أو مخاوف أو طقوس حركية تسيطر على ذهن المريض وتقتحمه ضد إرادته ، وهو على يقين تام بتفاهة وزيف هذه

الوساوس ولذا فإنه يحاول التخلص منها بطردها من ذهنه ، ولكنه لا يستطيع .. لا يستطيع طردها .. لا يستطيع التوف عن التفكير فيها ..

.. ماذا يعانى هذا المريض .. ؟

.. يعانى تفاهة أو سخافة أو فظاعة الوساوس .

.. يعانى سيطرتها عليه وضعفه وعجزه عن التخلص منها ..

.. يعانى قلقاً واكتئاباً ..

.. يعانى عجزاً وشللاً فى حياته للسيطرة المستمرة على ذهنه ..

.. قد تلعب الوراثة دوراً .. ولكن الأمر غير مؤكد حتى الآن ..

.. قد تكون البيئة .

.. قد تكون بؤرة كهربائية فى المخ تتسبب فى خلق دائرة كهربية تحتوى على هذه الفكرة .. فتحتل الفكرة هذا الجزء من المخ رغم سخافتها ، وفى نفس الوقت يدرك المخ سخافتها وزيفها ..

وهذا يختلف عن الهذاءات (الضلالات) التى تحدث أساساً فى مرض الفصام .. فمريض الفصام يؤمن بفكرة خاطئة ويعتقد فى صحتها ويكون على يقين من صدقها .. أما مريض الوسواس القهرى فهو على يقين من عدم صدق الفكرة ولكنه رغم ذلك يفكر فيها ويتفاعل معها .. وهنا تكمن مشكلة هذا المرض .. فالمريض يشعر أنه متناقض مع نفسه .. أو أن له عقلين أحدهما متناقض مع الاخر .. موقف ازدواجى يرهقه ويجعله يشك فى سلامة عقله ..

.. مريض الفصام يؤكد أن المارة فى الشارع ينظرون إليه نظرة ذات معنى .. والمعنى انه شاذ جنسياً ..

.. مريض الوسواس القهرى يقول : كلما خرجت إلى الشارع سيطرت على فكرة

أن المارة يعتقدون أنى شاذ جنسياً .. وأنا واثق أن هذه الفكرة خاطئة وأن المارة فى الطريق لا يلتفتون ناحيتى إطلاقاً .. ورغم ذلك فإننى لا أستطيع التخلص من هذه الفكرة .. وأشعر بقلق وضيق كلما خرجت إلى الطريق .. ولهذا فأنا اتحاشى – الآن – النزول إلى الشارع ..

.. موَقف غريب .. هو واثق أن المارة فى الطريق لا يلتفتون إليه .. ورغم ذلك فقد قرر ألا يخرج للشارع .. لماذا ..؟ لأن المارة يعتقدون أنه شاذ جنسياً .. ولكنه واثق من زيف هذه الفكرة إذن يجب أن يخرج للطريق بثقة .. ولكنه لا يستطيع .. لماذا ..؟

.. هو نفسه لا يستطيع أن يجيب عن السبب فى أنه لا يخرج للطريق رغم ثقته من عدم إلتفات أحد إليه .. فهذا هو المرض .: الفكرة الخاطئة التى يستسلم لها رغم تأكده من زيفها .. أما مريض الفصام فيستسلم للفكرة الخاطئة التى يؤمن بصحتها ..

وعصاب الوسواس القهرى يصيب عادة نوعية معينة من الشخصيات .. شخصيةتعرف باسم « الشخصية القهرية » Compulsive Personality .. وهى شخصية تتسم بالدقة وحب النظام والأمانة واتباع الأصول ومراعات القانون ولكنها تتسم أيضاً بالصلابة والعناد وعدم المرونة .. ولهذا فهى تصطدم دائماً مع الناس ..

.. وأحياناً تظهر الوساوس القهرية بعد الحمى المخية ، أو إصابة الدماغ إثر حادث ، أو كأحد مضاعفات مرض الصرع ..

وقد تظهر الوساوس القهرية كأعراض فى مرض الفصام أو الاكتئاب الدورى .. ومع ازدياد حدة القلق ينتاب الإنسان بعض الوساوس تزول بزاول القلق ..

.. ولكن ما هى أعراض مرض « الوسواس القهرى » ؟

أولاً : الأفكار : Ideas

عادة ما تكون أفكاراً متعلقة بالدين أو الجنس .. وهى لا شك أفكار سخيفة ، أو مزعجة يصفها المريض وكأنها قوى معاكسة داخلية تبغى إرهاقه وإزعاجه .. ولا يمكن بالطبع أن تكون أفكاراً طيبة أو جميلة ، وإلا لما اشتكى المريض منها .. وأكثر الأفكار إزعاجاً للمريض تلك المتعلقة بالدين خاصة إذا كان المريض متديناً ، فيتشكك مثلا فى وجود الله ، أو تسيطر عليه فكرة أن الكتب السماوية من تأليف الأنبياء ، أو تسيطر عليه فكرة الشذوذ الجنسى ..

وأذكر أن أحد المرضى وكان طبيباً سيطرت عليه فكرة أن ابنته البالغة من العمر خمس سنوات سوف تحمل منه بسبب أنه قبلها .. ورغم أنه مقتنع باستحالة ذلك – فهو طبيب – لأنه لم يحدث اتصال جنسى ، وأيضاً فهى طفلة ، إلا أن الفكرة سيطرت عليه سيطرة تامة ، ومنعته من الذهاب لعمله ..

ومشكلة هذه الأفكار أنها تظل ملازمة للمريض معظم الوقت وتفرض نفسها عليه بإلحاح وتدعوه لفحص الأمر وتقليبه فى ذهنه فيظل يناقش نفسه – مثلاً – فى إمكانية أن تحمل ابنته وحين يصل إلى مرحلة من التفكير يقتنع فيها – للحظات – بعدم إمكانية حدوث الحمل ، سرعان ما تسيطر عليه فكرة أن الحمل قد يحدث كمعجزة خارقة لقوانين العلم ، ويهتز لذلك ويشعر بالخوف ..

وحين تظل الفكرة مسيطرة وتجر وراءها مجموعات من الأفكار فى صورة أسئلة يجيب عليها تسمى حينئذ هذه الأفكار اللانهائية وهذه الأسئلة التى لا تنتهى « باجترار الأفكار « Ruminations » .

ثانياً : الصـــور : Images

وهنا تسيطر الصورة بدلاً من الفكرة .. صورة كاملة يراها مرسومة فى ذهنه .. صورة مؤذية تسبب له إزعاجاً وضيقاً وهماً .. فترتسم صوزة عزيز عليه قد دهمته سيارة ، أو صورته وهو يمارس الجنس مع أمه ، أو صورته وهو يقذف الكعبة

بالحجارة بدلاً من أن يقذف بها إبليس .. وهيهات أن يتحقق له الخلاص من هذه الصورة المزعجة التي تحتل عقله ويراها بعينه الداخلية وكأنها مجسدة أمامه بالألوان ..

ثالثاً : الاندفاعات Impulses

هناك من الأفعال ما يستحيل أن يفكر الإنسان فى أنه من الممكن أن تتولاه الرغبة أو حتى فكرة أن يقوم بها .. كأن يقذف الإنسان نفسه من مكان مرتفع أو يلقى بنفسه أمام سيارة مسرعة وذلك لعدم وجود أية رغبة فى الانتحار .. المكتئب الذى تسيطر عليه الرغبة فى التخلص من الحياة هو الوحيد الذى قد تطرأ له هذه الأفكار وقد تأتى بصورة رغبة اندفاعية .. ولكن مريض الوسواس القهرى قد تأتى له مثل هذه الاندفاعات ويشعر كأنه سيهم بفعلها ولهذا يتحاشى الأماكن المرتفعة وقد يتحاشى المشى فى الشارع خشية أن يحقق هذا الاندفاع : بأن يلقى نفسه أمام السيارة المسرعة ..

.. ولا أحد يتصور – مثلاً – أنه قد تأتى له رغبة فى أن يضحك بصوت مرتفع أثناء الصلاة فى الجامع أو فى الكنيسة أو أن يضحك وهو يسير فى جنازة صديق أو قريب ..

وقد تأخذ هذه الاندفاعات شكلاً أكثر خطورة مما يسبب ازعاجاً شديداً للمريض ، كأن تتولاه الرغبة فى قتل ابنه ، أو خنق الأم طفلها الرضيع ، أو فى أن يعتدى على ابنته البالغة من العمر أربع سنوات .. وبالنسبة للحالة الأخيرة فإن الأب ليس لديه رغبة جنسية على الاطلاق فى ابنته (أى ليست حالة شذوذ جنسى) ولكنها مجرد رغبة اندفاعية خالية تماماً من الرغبة الجنسية .. وأذكر أن صرافاً فى إحدى الشركات كان يذهب إلى البنك فى أول كل شهر ليصرف مبلغ عشرين الف جنيه مرتبات موظفى الشركة وفى أثناء عودته بالمبلغ كانت تتولاه رغبة اندفاعية فى أن يشعل النار فى هذه النقود .. ولم يكن هناك حل إلا أن ينتقل إلى عمل آخر .

وتلك الطفلة التى كانت تسيطر عليها الرغبة فى أن تطلب من أمها أن تقول

كلمات معينة بسرعة معينة فاذا اخطأت أو أسرعت طلبت منها أن تعيدها ، فاذا رفضت الأم صرخت الطفلة وبكت ولا تهدأ إلا بعد أن تحقق لها أمها رغبتها ..

ويعجب الإنسان حين تسيطر عليه هذه الرغبات ؟ .. وفى البداية لا يعتقد أنها مرض .. وقد يظن الشياطين توسوس له ، فالأمر يبدو فعلاً كالوسوسة الشيطانية التى تطلب من الإنسان أن يقوم بفعل الخبائث .. وقد يتعقد الأمر أكثر إذا أكد أحد رجال الدين ذلك .. هنا سوف يشعر المريض بمزيد من الذنب وسيتيقن ان الله غير راض عنه وبذلك يزيد اكتئابه .. ونستطيع أن نطمئن المرضى أنه لم يحدث فى تاريخ الطب النفسى أن قام أحد المرضى بتنفيذ تلك الرغبات الخطرة .

أما الأفعال البسيطة كالرغبة القهرية فى العد أو غسيل الأيدى أو الاستحمام أو التأكد من الأشياء كغلق الباب أو غلق « أنبوبة البوتجاز » فإن المريض ينفذها لخلوها من أية مخاطر ، بل على العكس هى تدفع الطمأنينة فى نفسه إذا قام بتنفيذها ، خاصة حين يعتقد أن يديه ملوثة فيقوم – مثلاً – بغسلها خمسين مرة ، فإذا أخطأ فى العد قام بغسلها من جديد ولخمسين مرة أخرى حتى تهدأ نفسه .. وتسمى هذه الأعراض : « بالطقوس الحركية » Rituals .

وهى أن تسيطر عليه الرغبة فى أن يقوم بأفعال معينة بترتيب وتتابع معين ولعدد معين من المرات ، وغير معروف حتى الآن سر اختيار المريض لعدد معين كأن يستحم – مثلاً – عشر مرات يومياً .. أو يغسل يديه ثلاثين مرة ، أو يتأكد من إغلاق الباب بأن يفتحه ويعيد إغلاقه خمس مرات .. وهكذا ..

وبعض هذه الطقوس يسبب إرهاقاً شديداً للمريض ، وأتذكر تلك السيدة التى كانت لا تستطيع طهى الأرز إلا بعد أن تقوم بعد حباته وكان ذلك يستغرق على الأقل أربع أو خمس ساعات وإذا أخطأت أثناء العد فإنها تبدأ العد من جديد .. ولا يمكن لأحد – بالقطع – أن يتصور مقدار العذاب والألم والإرهاق الذى تعانى منه هذه السيدة ومقدار المشاكل العائلية الناجمة عن هذا المرض ، لأن المحيطين بها يتصورون أنها من الممكن أن تتخلص من هذه الحالة إذا استعملت بعض إرادتها ، ويظنون أنها : مستسلمة .. ولكن الحقيقة عكس ذلك فهى أكثر ضيقاً منهم وهى تحاول جهدها أن

تتخلص من هذه الاندفاعات ولكنها فعلاً لا تستطيع .. وبهذا يتضاعف اكتئابها ، ويتضاعف قلقها بفعل المرض وبفعل الضغوط التى تتعرض لها من زوجها وأولادها ..

وأكرر مرة أخرى أنه من المستحيل أن يتصور أحد مقدار العذاب الذى يعانيه مريض الوسواس القهرى .. وهذا المرض يؤثر بشكل سلبى على العلاقات العائلية . إلا إذا كان هناك حب وتفهم حقيقى وهذا نادر ..

رابعاً : المخـاوف : Phobias

هى أيضاً مخاوف قهرية لا يستطيع الإنسان أن يقاومها أو يتغلب عليها ، كذلك لا يستطيع الإنسان التخفيف منها باستعمال المنطق ، فهو يعلم أن الأمر لا يدعو للخوف ولكنه رغم ذلك يشعر بالخوف الشديد .. فتلك السيدة التى تتولاها الرغبة الاندفاعية لدفع السكين فى صدر ابنها ، يتولاها فزع إذا رأت سكيناً ، وتصادف أن ابنها بجوارها ، وتجرى تاركة المكان .. وبالقطع فهى تتحاشى دخول المطبخ لكى لا ترى أية سكاكين ، وذلك الأب الذى تتولاه الرغبة الاندفاعية فى الاعتداء على ابنته يشعر بذعر إذ تُرك وحيداً معها ويتصبب عرقه وتضطرب دقات قلبه وتنهار قواه تماماً ويجرى مندفعاً تاركاً المكان .. إذن المخاوف مرتبطة أساساً بالاندفاعات وخشية المريض أن ينفذ هذا الاندفاع الذى يتولاه .

والسؤال الآن :

هل هناك علاج ؟ أو يظل المريض معذباً بمرضه طوال حياته .. هل تسوء الحالة بمرور الوقت أو تتحسن ؟ .. وهل يمكن أن يجن مريض الوسواس ؟ أو بمعنى أدق هل تتحول الحالة إلى مرض عقلى ؟

كل التساؤلات السابقة هى صرخات المرضى .. والمؤمنون بالله موقنون أن لكل داء دواء .. وخير دواء هو الإيمان .. ويليه ما وفق الله به عقل العلماء من الاهتداء إلى أنواع العلاج المختلفة .. وهناك حالات تشفى تماماً وحالات تتحسن وتظل بعض الأعراض ، ولكن المريض يستطيع أن يعيش حياة طبيعية .. وهل توجد حياة طبيعية

تماماً حتى بالنسبة لمن لا يعانون من أى مرض ؟؟ وهل توجد حياة خالية من ألم ؟؟

وعلى أية حال .. فمريض الوسواس القهرى تهدأ نفسه بداية إذا قام الطبيب بشرح الحالة وتفسير الأعراض .. ثم يأتى دور العلاج النفسى التدعيمى بقصد مساندة المريض .. والعقاقير حالياً تلعب دوراً هاماً خاصة فى تخفيف الاكتئاب والقلق المصاحبين للمرض .. وبعض هذه العقاقير لها تأثير مباشر على الوساوس – خاصة إذا أعطيت عن طريق الحقن فى الوريد – فى بداية العلاج ..

ثم هناك أمر آخر غاية فى الأهمية وهو أن يتفهم الأهل طبيعة الحالة .. وأطلب من كل طبيب أن يخصص جلسة خاصة للمحيطين بالمريض ويقوم بشرح تفصيلى عن طبيعة المرض ومستقبل الحالة وأسلوب العلاج وأن يستعين بهم لمساعدته فى العلاج النفسى .. إن تخفيف الضغوط على المريض يسهم إلى حد كبير فى مساعدته ..

وهناك أمر آخر وهو أن ينشغل المريض بعمل ما .. المهم ألا يكون لديه وقت فراغ . فالانشغال بأى شيء يبعد الذهن لفترة عن الأفكار والوساوس ويعطى راحة للمريض ..

وهناك العلاج السلوكى والذى سنتحدث عنه بالتفصيل فى الفصل القادم ..

أما العلاج الجراحى فلا يستعمل إلا فى الحالات التى فشلت معها كل الوسائل العلاجية الأخرى .. والجراحة لا تشفى الوسواس ولكنها تلغى أحساس المريض بالقلق والاكتئاب ، فتظل وساوسه كما هى دون أى انفعال من جانبه .. وهو عبارة عن كى بعض المراكز فى الفص الجبهى للمخ .

مريض الوسواس القهرى إنسان حساس ومثالى .. ولولا أنه كذلك لما أصيب بهذا المرض .. فهذا المرض لا يصيب إنساناً مضطرباً فى شخصيته أو مهتزاً فى قيمه .. ولا يصيب « الشخصية الهستيرية » ولا يصيب « الشخصية السيكوباتية » ..

وإذا كان العلاج الكيميائى يحقق بعض الفائدة ، فإن الفائدة الكبرى تتحقق بالتفهم والتفاهم والحب ..

استجابة الخـوف

Phobic Reaction

الخوف والقلق والوساوس والاكتئاب والأوهام كلها أحوال نفسية من قدر الإنسان .. كتب على بعض البشر أن يعانوا منها فى فترات ما من حياتهم ، ولا أعرف من مخلوقات الله غير الإنسان كتبت عليه مثل هذه الحالات النفسية ..

.. وكل إنسان يعرف ما هو الخوف .. ربما لا يستطيع أن يضع له تعريفاً ولكنه شعر به فى مواقف متعددة ، وفى مراحل مختلفة من عمره .. وأن نضع تعريفاً لشعور إنسانى فذلك أمر صعب أو أن نصف هذا الشعور فذلك أصعب .. وهذه المشاعر الغريبة يمر بها الإنسان وهو طفل ، وربما وهو رضيع ، يخاف ، ويقلق ، ويكتئب ، أى أنه يعانى ولكنه لا يفهم لماذا ، فلا يعرف طبيعة هذه المشاعر الغامضة التى تمر به كما لا يعرف أسماءها ..

.. وليس مهماً أن يعرف طبيعتها وأسبابها وأسماءها ، وإنما المهم أنه يشعر بأشياء غير سارة تسبب له ألماً وتفسد عليه الاستمرار الهادىء لحياته ..

.. وأتصور أن أول خبرة نفسية مؤلمة يمر بها الإنسان فى طفولته هى الخوف .. ومن يدرى لعله أول شعور يمر به بعد خروجه من الرحم مباشرة .. فمن ينظر إلى وجه طفل فى اللحظة التى يطل فيها برأسه على الدنيا يرى الألم وكأنما يتعذب ، ويصرخ بأعلى صوت لديه .. لعلها لحظات خوف نتيجة للتغير المفاجىء فى حالة

استقرار عاشها لشهور تسعة .. ومن هنا قد نفهم أحد أسباب الخوف وهو التغير المفاجىء فى حياة الإنسان .. التغير غير المتوقع حتى ولو كان تغييراً إلى الأفضل .. فهذا التغيير يعنى أننا مقبلون على شيء مجهول .. شيء لا نعرفه .. والإنسان يخاف الأشياء المجهولة .. المبهمة .. الغامضة ..

وتمضى حياة الطفل كأنها سلسلة من المخاوف :

.. يألف وجه أمه .. ثم تبتعد هذه الأم عنه لحظات أو ساعات أو شهوراً لسبب ما : فيشعر بالخوف المصحوب بالقلق والحزن ..

.. يألف بيته وجيرانه وشارعه وأصحابه ثم يذهب إلى المدرسة حيث كل شيء مختلف : الجدران والوجوه . فينتابه خوف ربما إلى حد الهلع .

.. وينتهى عام دراسى ويقبل على عام جديد فيشعر بالخوف فى بدايته ، لأنه يحمل أيضاً وجوهاً جديدة « مدرسين وزملاء » .

.. ويخاف الامتحان .. فالامتحان هو تقييم لقدراته وجده ، وتحديد لمستقبله ، وتحديد لموقف الآخرين منه ..

الخوف تهديد لحالة إستقرار وأمن نعيشها . الخوف هو توقع إيذاء .. ليس بعيد المدى ، ولكنه إيذاء وشيك الوقوع ، فهو على بعد خطوة منا .. إيذاء للجسد أو للنفس أو لكليهما ..

وقد واجه الإنسان فى بداية وجوده على الأرض الطبيعة القاسية والحيوانات الضارية .. وواجه الأمراض الفتاكة وواجه أيضاً عدوان إنسان آخر عليه .. ثم اخترع اشياء أخرى ليخاف منها كالجن والعفاريت تأتيه من عالم مجهول لا يراه .. وخاف أيضاً من الأشياء التى صنعها بنفسه خاف من السيارات والطائرات والسفن والمصاعد (الاسانسير) .

وإذا لم يجد الإنسان سبباً للخوف خاف من لا شيء .. خاف من أشياء مجهولة لا يعرفها .. مجرد إحساس بالخوف .. أى بالتهديد والخطر ..

.. والخوف ليس جبناً .. والخوف ليس نقيضاً للشجاعة .. ربما كان هذا جائزاً من الناحية اللغوية ولكنه غير جائز من الناحية النفسية .. فكل إنسان يخاف من أشياء معينة ولا يخاف من أشياء أخرى .. وهذه الأشياء تختلف من إنسان لآخر .. فقائد طائرة حربية قد يخشى ركوب سفينة ، ومروض للوحوش قد يخشى الصراصير ، وبطل فى الملاكمة قد يخشى دخول المصعد والصعود فيه .. فيجب أن نعترف أن الخوف متداخل مع نسيج النفس البشرية وما من إنسان إلا له الأشياء التى يخاف منها ..

.. ولكن للخوف أنواعاً ودرجات .. فبعض مخاوفنا لها ما يبررها ونشترك فيها جميعاً .. فأى إنسان يشعر بالخوف لو أنه أثناء سيره فى الشارع رأى سيارة مسرعة تتجه نحوه ، أو أثناء ركوبه الطائرة عرف أنها معرضة للخطر ، أو هبت الأعاصير على السفينة التى يركبها .. وهكذا ..

.. ولكن هناك نوعاً من المخاوف ليس لها ما يبررها .. كالخوف من أشياء لا تشكل أية خطورة أو تهديد له .. هو نفسه يعجب لماذا يخاف والناس من حوله أيضاً يعجبون .. وهو خوف إلى حد الهلع والذعر وانحباس الصوت أو الصراخ الشديد ، والعرق الغزير ، وسرعة ضربات القلب وارتجاف كل الجسم .. وإذا استطاع وساعدته ساقاه فإنه يجرى ..

- قد يكون الشىء الباعث على الخوف قطة ، أو فأراً ، أو صرصاراً ، أو نحلة .. **Zoophobia** .

- أو الخوف من الأماكن المزدحمه أو الاماكن الضيقة **Claustrophobia** .

وهذا الإنسان يخشى الأماكن العامة المزدحمة بالناس ويخشى كل مكان يغلق عليه سواء سيارة أو مصعد « أسانسير » أو حجرة .. فبمجرد أن يغلق الباب يشعر وكأن روحه قد انسحبت من صدره وأنه سيساق – فوراً – لحتفه ولا مفر ..

- أو الخوف من الأماكن المتسعة **Agoraphobia** وهى أكثر انتشاراً فى النساء .. فهى تخشى النزول إلى الشارع .. تخشى أن تسير بمفردها .. بل تخشى أن تبقى بمفردها حتى داخل بيتها .. وإذا حدث أن وجدت بمفردها فى أى مكان شعرت وكأنها على

وشك الموت ، تتنابها الرعشة فى كل جسدها كأنها على وشك الوقوع ، مع عرق وضيق فى التنفس وضربات عنيفة فى القلب كأنه يريد أن يقفز من الصدر ..

• ثم هناك الخوف من الأمراض Disease phobia (Nosophabia) وهذا الإنسان يظل فى حالة رعب دائم وفى أوقات يعتقد أنه مصاب فعلاً بهذا المرض الخطير أو أنه على وشك الإصابة به .. وأهم مرضين هما السرطان والجنون .. وإذا قرأ عن أى مرض يشعر بأعراضه وإذا زار مريضاً انتابته نفس الأعراض .

• والخوف الاجتماعى .. Social phobia وهو الخوف من الناس .. الناس تخاف الناس .. والإنسان يخاف الإنسان .. أى أنه يتوقع تهديداً من الآخرين .. وقد يكون هذا التهديد المتوقع فى صورة نقد أو سخرية أو استهزاء .. وكما أن مشكلة الإنسان مع الطبيعة والحيوانات فإن مشكلته قد تكون مع إنسان آخر .. إحساس بالخوف ينتابه لمجرد رؤية هذا الإنسان .. ولا يعرف لماذا يخاف منه ولا يعترف ماذا يتوقع منه .. قد يجد صعوبة فى البلع وقد يتلعثم أو يتوقف مخه عن التفكير وتبرز حبات العرق فى كفيه وقدميه .. ويشعر بارتياح كبير إذا تركه ومضى .. وتنتابه نفس المشاعر فى وجود مجموعة من الناس أو حين يقابل إنساناً جديداً لا يعرفه من قبل أو حين يقابل مسئولاً كبيراً أو صغيراً ..

وتزيد هذه الأعراض حدة فى وجود الجنس الآخر .. وأكثر ما يضايق هذا الإنسان بعض المظاهر التى تبدو عليه وتتسبب فى مزيد من الاحراج ومزيد من الاضطرابات خاصة احمرار الوجه واكتساءه بالعرق ويتصور أنهم يسمعون دقات قلبه العنيفة ويلحظون الرعشة المنتشرة فى كل جسده ..

.. وهذا الإنسان غالباً ما يتصور أنه أقل من الآخرين – وقد يكون هذا غير حقيقى – وأنه من الأفضل أن يتحاشى الناس حتى يجنب نفسه هذا الخوف ، وهذه الأعراض المزعجة ، وحتى لا يشعر دائما بعجزه ، وهذا بلا شك يؤلمه ويضيع عليه فرصاً كثيرة فى الحياة ويمنعه من أن يدافع عن نفسه ويطالب بحقوقه ..

.. كل الأنواع السابقة من الخوف هى استجابات مرضية .. لأنه لا يوجد ما يبرر

هذا القدر من الخوف .. ولأن مظاهر وأعراض الخوف تكون شديدة كالصراخ والجرى أو الاضطراب الشديد .. ولأن المريض يتحاشى دائماً المواقف التى تبعث على هذا الخوف ..

.. وهذه المخاوف لها أسبابها .. ولا شىء يؤثر على مستقبل الإنسان قدر أحداث الطفولة .. وكل الخبرات النفسية التى يمر بها الطفل تحفر فى داخله راسخة ثابتة ومؤثرة عليه فى مستقبل حياته .. كل هذه الخبرات يعود فيشعر بها من جديد إذا تعرض لنفس الظروف ونفس المؤثرات .. فمخاوف الطفولة تتجدد فى الكبر .. وذلك لأن الطفل يظل داخل الإنسان حتى وهو شيخ كبير إلى أن يموت .. وقد ينسى الإنسان الأحداث أو المؤثرات التى أثارت خوفه فى طفولته رغم أنها ما زالت فى داخله .. ويتكرر الحدث أو يتعرض لنفس المؤثر فيخاف وهو كبير .. إذن مخاوف الكبار هى تكرار لمخاوف الطفولة .. وقد تكون مخاوف الإنسان الكبير هى رموز تختفى وراءها أشياء أخرى .. بمعنى أن الشىء الذى يخاف منه ليس هو الشىء الحقيقى ولكنه شىء رمزى بينما هو يخاف من شىء آخر كامن فى أعماقه ولكنه لا يريد أن يواجه نفسه به ، ولا يريد أن يشعر أنه يخاف ، فيسقط مخاوفه على شىء آخر ، أى يحول مخاوفه الحقيقية إلى شىء آخر ..

فالتى تخاف من القطة ، ليست القطة هى مصدر خوفها الحقيقى ، بل هناك شىء آخر تخاف منه ولكن الإقرار والاعتراف بمصدر خوفها الحقيقى يسبب لها صراعاً نفسياً تريد هى أن تتجنبه كأن يكون مصدر خوفها وكراهيتها – مثلاً – هى أمها ، ولكنها لا تستطيع أن تواجه نفسها بهذه الحقيقة فتحول الخوف من الأم إلى القطة ، والذى يخاف من الحصان هو فى الحقيقة يخاف أباه .. وهكذا ..

.. وهناك مخاوف من نوع آخر .. مخاوف مصاحبة لأمراض نفسية وعقلية أخرى .. فالذى يعانى من القلق النفسى يشعر بالخوف .. وكذلك فى حالات الوسواس القهرى ..

ومرض الاكتئاب قد يبدأ بمخاوف خاصة « الاكتئاب الذهانى » أو « اكتئاب سن اليأس » .. فيشعر المريض بالخوف من الناس أو الخوف من الخروج للشارع أو

الخوف حين يرن جرس التليفون أو حين يسمع طرقاً على باب منزله .. أذكر مريضاً بالاكتئاب كان يشغل منصباً كبيراً ، بدأ عنده الاكتئاب بالخوف من الشغال الذى يعمل عنده وعدم قدرته على أن يطلب منه أى شيء ، وآخر يخاف من مرءوسيه فى العمل ، وبالطبع حين شفيا من الاكتئاب عاد كل منهما إلى حالته الطبيعية .. والاكتئاب أيضاً قد يبدأ بالخوف من الفقر أو الخوف من المرض .. ومرض الفصام قد يبدأ بمخاوف مبهمة وغريبة .. والعلاج فى مثل هذه الحالات يوجه إلى المرض الأصلى ..

أما فى حالة المخاوف الأولية كالخوف من الحيوانات أو من الأماكن المرتفعة أو المتسعة أو الضيقة أو الخوف من الأمراض أو الخوف من النّاس ، فيجب دراسة طفولة المريض والأحداث التى مرت به ومعرفة نوعية شخصيته والظروف التى يعيش فيها وإلى أى مدى تعوق هذه المخاوف حياته العملية ، أو حياته الأسرية والاجتماعية ..

إن المعرفة الكاملة بكل هذه الأشياء تجعل الطبيب قادراً على تحديد أسلوبه العلاجى .. وهناك وسائل متعددة للعلاج .. وفى كل الأحوال لا غنى عن العلاج بالعقاقير ، وبعض مضادات الاكتئاب ، والمطمئنات الصغرى تفيد فى بعض الحالات .. وأحدث الطرق وأكثرها فاعلية : « العلاج السلوكى » Behaviour Therapy وهو يعتمد على « نظرة بافلوف » فى الأمراض النفسية وهى النظرية التى تقول : إن الأعراض العصابية ما هى إلا عادات خاطئة تعلمها المريض .. فأى سلوك ينشأ نتيجة للتعلم .. وهذا التعلم قد يكون خاطئاً ويتم تعزيز هذا التعلم الخاطىء أو السلوك الخاطىء أو السلوك المرضى بتكراره ، ويسمى « المنعكس الشرطى المرضى » Faulty Conditioned Reflex ، ولإزالته أو شفائه لا بد من إحلال منعكس شرطى جديد .. فإذا كانت لدينا مريضة تخاف من القطط فإن النظرية الشرطية تقول : إن هذه المريضة تعرضت فى طفولتها إلى موقف فزع وخوف بسبب قطة فارتبط الخوف ومظاهر القلق الفسيولوجية بالقطة ، وكلما تعرضت هذه المريضة لرؤية أو وجود قطة انتابها الخوف الشديد وبذلك أصبحت تتحاشى القطط .. هذا هو المنعكس الشرطى المرضى : ارتباط القطة بالخوف ..

والسؤال الآن : ما العلاج ..؟ .. وللإجابة على ذلك نقول نريد منعكساً شرطياً جديداً بمعنى أننا يجب أن نطفىء الخوف الذى يصاحب رؤية الخطر ويحل محله الأطمئنان .. ويتم ذلك عن طريق « التحصين المتزايد » Progressive Desensitization ..

والفكرة منه أن يحل الاسترخاء والاطمئنان محل الخوف فى وجود القطة .. وهذا يحدث تدريجياً وتكون المريضة فى حالة استرخاء عن طريق مهدىء .. ثم نرسم خطة علاجية نُعرضها فيها كل جلسة للمؤثر الباعث على الخوف ، ولكن نبدأ بأقل المؤثرات باعثاً على الخوف .. ففى أول جلسة تسمع صوت قطة ، وثانى جلسة ترى تمثال قطة ، وفى ثالث جلسة ترى قطة صغيرة فى نهاية الحجرة ، وفى رابع جلسة تقترب قليلاً من هذه القطة .. وهكذا تدريجياً حتى نصل إلى نهاية العلاج وفيه تكون المريضة قادرة على الجلوس بمفردها وهى فى حالة استرخاء وبدون خوف مع وجود القطة ..

ونفس الأسلوب نستطيع إتباعه فى حالة المريضة التى تخاف من الاماكن المتسعة والمريض الذى يخاف من الأماكن المزدحمة أو الأماكن الضيقة .. الأمر كله يتوقف على تعريضه للمؤثر الباعث على الخوف بشكل تدريجى ، بينما المريض فى حالة استرخاء كامل ..

وهناك أسلوب آخر يسمى « العلاج بالفيضان » Flooding وهو أن نعرض المريض بشكل مفاجىء ومكثف ومستمر للمؤثر الذى يثير خوفه . فإذا كانت سيدة تخاف من المشى فى الشارع نتركها فى الشارع فجأة بدون أن يكون أحد بجوارها .. قطعاً ستصاب بالفزع والرعب وربما تتعرض لحالة إغماء، ولكنها ستفيق وتجد نفسها فى نفس الموقف ، فيغمى عليها للمرة الثانية .. وهكذا حتى تملك نفسها وتستطيع مواجهة الموقف .. وبالمثل فى حالة الخوف من القطط : نضعها وسط مجموعة من القطط ونتركها بمفردها ولكن يجب أن نطمئن إلى سلامة القلب وعدم وجود ارتفاع فى ضغط الدم لأن هذا التعرض المفاجىء يثير حالة شديدة من القلق والخوف والتى يصاحبها كل الاضطرابات الفسيولوجية التى عادة ما تكون مصاحبة للقلق مثل ارتفاع ضغط الدم وازدياد ضربات القلب ..

وهناك من يرون أن العلاج الأمثل لمثل هذه المخاوف يكون عن طريق التحليل النفسى ..

وكما سبق أن أوضحت : إن إيمان الطبيب بالوسيلة العلاجية التى يتبعها هو الضمان الحقيقى لفاعلية هذا الأسلوب ، بالإضافة إلى تصميمه - بإذن الله - على شفاء المريض ..

ولا أدرى لماذا انتشر الخوف من الموت بين كثير من الناس فى هذه الأيام .. فمعظم حالات المخاوف التى أراها تكون الخوف من الموت ومن قبل كان الخوف من الأمراض .. وعادة ما يصاب إنسان بهذه الحالة بعد رؤيته لحادثة أو حضوره لحالة وفاة خاصة إذا كان شخصاً يعرفه جيداً ، أو بعد أن يسمع عن إنسان قد مات فجأة ، وهو فى سن صغيرة ولم يكن مريضاً بمرض يؤدى إلى الموت .. تأتى لهذا المريض لحظات يشعر فيها أنه على وشك الموت ويشعر بآلام فى صدره وصعوبة فى التنفس وتبرد أطرافه ويشحب وجهه . ويهرع إلى طبيب أو يستدعى الإسعاف ويتم الكشف عليه ويطمئنونه أنه سليم تماماً ويهدأ بعد تناول قرص أو حقنة مهدئة .. ولكن الحالة تعاوده مرة أخرى .. أى أنها تأتى فى شكل نوبات .. وقد يصاحب ذلك أو يكون وراء ذلك الخوف من القبر ويظل مشغولاً بهذه الأفكار التى تأخذ شكل الوساوس .. وأذكر أن مريضاً كان يتعذب بخوفه من أن يدفن وهو حى ..

ومن خبرتى الشخصية أتصور أن حالة الخوف من الموت يكون وراءها أحد أمرين : إما حالة اكتئاب أو أن هذا الإنسان لديه ضغوط ومشاكل وهموم كثيرة يهرب منها بالتفكير فى الموت والمرض .

.. ورغم أننا جميعاً نعرف أننا سنموت يوماً ما ..

.. ورغم أننا نرى ونسمع عن الموت كل يوم ..

.. إلا أننا نكره الموت ونخافه ونتصور أنه لن يقترب منا ، وهذا نوع من الإنكار والتجاهل حتى نستطيع أن نتقبل الحياة ونعمل ونستمر فيها ونستمتع بها ..

الهيســـــتيريا

Hysterical Reaction

يعتقد الإنسان – واهماً – أنه يسيطر على عالمه من خلال وعيه المتيقظ ، وأن هذا الوعى يجعله ملماً بكل ما يحدث حوله ، وبكل ما يحدث فى داخله وهذا هو الأهم .. بل هو يتصور أنه هو ونفسه شيء واحد ولذا فهو فى حالة وعى دائم واحاطة شاملة وفهم كامل لكل دبة ولكل همسة تسرى فى نفسه أو فى داخله وبالتالى فهو مدرك لمعنى كل سلوك يصدر عنه ، فاستجاباته كلها من حركة ، وانفعالات ومواقف ، وأفكار تحملها كلمات ، مردها التفاعلات التى تمضى داخله وهو على وعى كامل بهذه التفاعلات .. إذن هو يفسر سلوكه على ضوء ما يشعر به فى داخله ، أى أن هناك مواءمة منطقية بين ما يدور داخله وبين ما يصدر عنه ..

.. هكذا يتصور أو يتوهم الإنسان .. وهو بذلك لا يكذب على نفسه ولا يكذب علينا ، فهكذا يشعر وهكذا تمضى به الحياة منذ أن وعى ذاته ، وأن هذه الذات يحتويها بداخله أو هى تحتوى جسده ، وأنه هو وذاته فى توحد كامل إزاء العالم الخارجى ..

.. وهذا هو الوهم الصحى الذى يعيشه الإنسان ..

- وهو وهم لأن الحقيقة غير ذلك ففى داخلنا عالم آخر لا ندرى عنه شيئاً .
- وهو صحى لأنه يُشعر الإنسان أنه وحدة واحدة ، وأنه كيان واحد وذات

واحدة ، وأن وعيه بذاته هو وعى كامل ، وأن وعيه بسلوكه هو وعى كامل ، وأن هذا السلوك يصدر عن هذه الذات الواحدة ، وأن كل سلوك يصدر عنه ، مفهوم ومنطقى ومتفق مع مكنونات هذه الذات .

.. ما هى الحقيقة إذن ؟

الحقيقة أننا لا نعرف إلا عقلنا الواعى الذى ندرك به العالم من حولنا ، وندرك به ما كان مباشراً من رغباتنا ودوافعنا وأفكارنا ومشاعرنا .. ولكن هناك شيئاً آخر باطن وعميق ليس فى متناول وعينا ، منطقة خاصة جداً ، ومجهولة لا نستطيع أن نطأها بإرادتنا ، أو نرتادها حين نريد ، ولا تمكننا هى من أن نراها ، فنحن لا نملك الوسائل التى نستطيع بها أن نخترق السور الكثيف المقام حولها ، ووعينا لا يعرف الدروب المؤدية إليها ..

.. هذه المنطقة تسمى بلغة علم النفس « اللاشعور » أو « العقل الباطن » ..

.. عالم يبدو لنا أنه منفصل عنا وأنه لا يعنينا لأننا لا نعرف عنه شيئاً ولكنه فى الحقيقة أنه شديد الالتصاق بنا ، بل متوحد معنا ويهمه أمرنا جداً .. بل نحن – الحقيقيين – نمثل اهتمامه الأوحد وهمه الأوحد .. وهو على اتصال كامل بالعالم الخارجى يعيه ويستوعبه ويهضمه ، ولكنه لا يستجيب له بشكل مباشر ، ولا يظهر لنا نوعية استجاباته ، بل على العكس يحتفظ بردود أفعاله لنفسه ، ولكنه فى نفس الوقت يوجهنا دون أن ندرى لنسلك سلوكاً معيناً يبدو كأنه منقطع الصلة بالاحداث الدائرة حولنا ، وهذا هو ما يجعلنا نستغرب أحياناً سلوكاً صدر عنا ..

.. وهذا « اللاشعور » أو « العقل الباطن » على اتصال وثيق وإلمام كامل بكل ما نريد وما نتمنى وما نحب وما نرغب وما نشتهى .. لديه جهاز استشعار شديد الحساسية يلتقط كل همسة وكل خاطرة فى مهدها وقبل أن نعيها ..

.. وهو يختلف عن الشعور أو العقل الواعى فى أنه لا يعترف بأية قوانين أو قواعد أو حدود وضعها الإنسان بنفسه وبوعيه ليمشى عليها وينظم بها علاقاته ..

.. فالعقل الواعى يرفض ما هو ضد القانون ، ويرفض ما هو ضد التقاليد والمثل والقواعد والحدود .. العقل الواعى ملتزم ، ولهذا لا يعترف بالغرائز إلا فى إطارها المشروع ويتجاهل الشهوات إذا كانت خارج الحدود .. أما العقل الباطن فصدره رحب ومتسع لكل ما يرفضه العقل الواعى .. إنه الملاذ الذى تلجأ إليه الغرائز المرفوضة والشهوات المنبوذة والأفكار المرذولة والعواطف المشبوهة .. إنه الحصن الذى يلجأ إليه المطرودون والمطاردون والمنبوذون حيث يجدون ترحيباً وسكناً ومأوى إلى حين ..

.. ولا شيء يموت أو يندثر هناك ، ولكن يبقى ويهدأ إلى حين ، ويحاول العقل الباطن أن يساعده ليعاود الظهور بشكل جديد ومقبول ليسمح العقل الواعى باستقباله والاستجابة له ..

.. وإذا سألنا عن الأعراض الهيستيرية فإن مصدرها العقل الباطن ..

فهذه الأعراض هى تحوير للمشاعر والرغبات الحقيقية .. هذه المشاعر وهذه الرغبات لا تستطيع أن تبدو بشكل مباشر على السطح ولا يسمح لها العقل الواعى أن تبدو فى صورتها الحقيقية وأن يعبر عنها الإنسان بوضوح وصراحة ، بل يتجاهلها كأنها غير موجودة ، فيتلقفها العقل الباطن ويساعدها فى أن تلبس قناعاً لتعاود الظهور بشكل مقبول ..

العرض الهيستيرى قد يأتى فى صورة شلل فى الأطراف ، أو فى صورة فقدان للذاكرة أو فى صورة فقدان للبصر أو فى صورة فقدان للوعى .. كلها وسائل تعبيرية .. كلها محاولات لأن يقول الإنسان شيئاً .. ليشكو ألماً أو رفضاً أو ليهرب من صراع يمزقه إرباً ..

الأعراض الهيستيرية قناع تلبسه الغرائز المرفوضة والشهوات المنبوذة والأفكار المرذولة والعواطف المشبوهة .. والأعراض الهيستيرية أيضاً قناع تلبسه المشاعر الحقيقية ، ولكنها مشاعر - مرفوض تماماً - أن تبدو كما هى وإلا أحرقت الدنيا وأحرقت أيضاً صاحبها مثل مشاعر الكراهية والمشاعر العدوانية .. إذ كيف يطيق

العقل الواعى أن يجعل صاحبه يعى أنه إنسان يحمل كراهية فى قلبه ويحمل عدواناً فى صدره ، كيف يطيق أن يجعل صاحبه يعى ويدرك ويرى نفسه بهذه الصورة الكريهه .. ولهذا فهو يرفض هذه المشاعر وينكرها فيتلقفها العقل الباطن ولكنه لا يقضى عليها لأنها حقيقية ولا بد من التعبير عنها ولهذا يحوّرها فى صورة رمزية فمثلاً تظهر فى صورة قئ .. فتصاب الزوجة بالقىء كلما اقترب منها زوجها وهذا أبلغ تعبير عن كراهيتها لأن القىء يعنى التقزز ، والتقزز هو الكراهية بعينها ..

.. الأعراض الهيستيرية تساعد على الهروب من أنفسنا وتساعدنا على الهرب من عالمنا القاسى الذى يبدو كالسجن الذى لا أمل فى الهروب منه ..

.. وكلنا يحتاج أحياناً إلى الهروب .. فإذا كنت فى مكان وعلا الضجيج إلى حد الجنون وكاد يهتك أذنيك فماذا تفعل ؟ إذا كنت فى مكان وشبت فيه النار حتى لا مستك فماذا تفعل ؟ إذا كنت فى مكان ونفد منه الأكسجين حتى كدت أن تختنق فماذا تفعل ؟

لاشك أنك فى أى من هذه المواقف سوف تجرى هرباً لتنجو من الضجيج ومن النيران ومن الاختناق ..

.. هكذا الأعراض الهيستيرية .. وسيلة للهروب من مواقف لا تحتمل .. مواقف فوق قدرة الإنسان على مواجهتها والتعامل معها .. مواقف تسبب له ألماً أو خزياً ، مواقف فرضت عليه أو هو يتحمل مسئوليتها بالكامل ..

.. كلنا نواجه مشاكل ونحتمل أعباء ونقاوم ضغوطاً تفرض علينا .. ولكن هناك درجات لاحتمالنا ، بعدها لا نستطيع ... نشعر بالاجهاد والتعب ثم نقع .. والأمر يختلف من إنسان لآخر .. وهذا الاختلاف مرجعه شىء هام يسمى « الشخصية » ...

والشخصية الهيستيرية Hysterical Personality أكثر تعرضاً للأعراض الهيستيرية .. وأبرز سمة فى هذه الشخصية هى القابلية للإيحاء وكذلك القدرة على الانفصال تماماً مثل الممثل الذى يتقمص دوراً ويندمج فيه وينسى نفسه .. وهى أيضاً تتسم بحب المبالغة والتهويل ومسرحة المواقف ، وهى أيضاً غير ناضجة وجدانياً .. كل

هذه السمات تجعلها عرضة للأعراض الهيستيرية تحت آى ضغوط ، وأمام أى مشكلة تعرض لها ، فإمكانياتها محدودة فى التعامل المنطقى الموضوعى مع الناس والأشياء والمواقف ، ورصيدها من الحكمة والبصيرة والمثابرة ضئيل جداً ، وحبها لذاتها وأنانيتها فائق جداً ولهذا لا تقوى على التحمل ولكنها تهرب بسرعة إلى الأعراض الهيستيرية التى ترفع عن كاهلها كل شيء وهذا هو المراد ..

.. هكذا تهرب الشخصية الهيستيرية إلى الأعراض الهيستيرية حتى تهرب من المسئولية ، أو حين تنهزم ، أو لضعف حيلتها ، أو لضعف منطقها ، أو لخطئها البين الذى تأبى الاعتراف به ، أو لانكشاف أمرها ..

.. وقد كانوا قديماً يعتقدون أن الهيستيريا لا تصيب إلا النساء ومن هنا اشتقت من كلمة « هسترا » التى تعنى فى اليونانية الرحم .. والإغريق كانوا يعتقدون أن الأعراض الهيستيرية تحدث نتيجة لانقباضات غير طبيعية فى الرحم وكذلك اعتقد قدماء المصريين . ولكننا نرى – الآن – الأعراض الهيستيرية فى الرجال أيضاً إلا أنها دون شك أكثر كثيراً فى النساء .. لماذا ؟ يرجع هذا إلى عوامل تاريخية نفسية حيث أن المرأة على مر العصور كانت عاجزة عن أن تعبر عن نفسها ، وتفصح عن مشاعرها ، وكانت تكبت باستمرار هذه المشاعر لعدم قدرتها على المواجهة ، ولذا خرجت معاناتها على شكل أعراض هيستيرية ..

.. وقبل أن نتطرق إلى معرفة مزيد من الأسباب لنشوء الأعراض الهيستيرية فلنتعرف على صورها المختلفة .

هناك نوعان من الاستجابات : الاستجابة التحولية والاستجابة الانشقاقية ..

• الاستجابة التحولية : Conversion Reaction

ومعناها أن المتاعب النفسية من قلق واكتئاب وإحساس بالضغوط والصراعات تتحول إلى عرض عضوى .. أى أن أحد أجزاء الجسد يبدو كأنه مريض ومصاب .. فبدلاً من أن يقول المريض أنا قلق أو أنا مكتئب أو أنا أعانى من كثرة المشاكل أو أنا

محاصر أو أنا مهزوم أو أنا خائف أو أنا غلطان أو أنا أكرهك أو أنا أتمنى موتك .. بدلاً من أن يقول هذا فإنه يقول : ذراعى تؤلمني ، أو رجلاى لا أستطيع تحريكهما أو أنا لا أرى ، أو أنا لا أحس بوخز الدبوس أو الألم يفتك برأسى ، أو يداى ترتعشان أو معدتى ترفض الطعام .. وكل جزء من الجسم يمكن أن تلبسه الهيستيريا فيشكو منه المريض .. وفى هذه الحالة ينسى المريض – تماماً – مشكلته النفسية فالعرض العضوى قد أنساه إياها .. أى أن مشكلته – الآن – أصبحت ذراعه التى لا تتحرك أو بصره الذى فقد أو رأسه التى يحطمها الصداع . كيف هذا .. ؟ كيف يشكو جزءاً من الجسم دون أن تكون به أية إصابة عضوية .. كيف لا يبصر الإنسان وعيناه والاعصاب البصرية سليمة تماماً .. كيف لا يحرك الإنسان يده دون أن يكون هناك أية إصابة فى الاعصاب الحركية .. كيف لا يشعر إنسان بالألم بينما دبوس يخترق جلده أو طرف سيجارة مشتعلة يلامس هذا الجلد ..

إنه العقل الباطن الذى يخترع هذه الأعراض ويحرك مراكز الجهاز العصبى العليا التى تتحكم فى الجسم فيتوقف الذراع عن الحركة أو يتوقف الجلد عن الإحساس أو ينزعج الرأس بالألم .. وهذا يبين التلاحم التام بين النفس والجسد وتأثير كل منهما على الآخر ..

يصدر أمر علوى : أن يا عين لا ترَىْ .. أو يا جلد لا تتألم أو يا ذراع لا تتحركى لكى يبدو كأن الشلل قد أصابك ، أو يا رأس تألمى وأمعنى فى الإحساس بالألم لكى يصرخ صاحبك فيُشد الانتباه إليه ولا يضغطون عليه ، وبذلك يتخفف (يهرب) من مسئولياته .. هذا هو « ميكانزيم الهيستيريا » ، أو كيف يحدث العرض الهيستيرى التحولى

ونورد على سبيل المثال بعض الحالات المتنوعة :

- وهو ذاهب إلى الامتحان صباحاً وقبل أن تتخطو قدمه باب لجنة الامتحان أصيبت ذراعه اليمنى بالشلل ..

– النتيجة : لن يستطيع تأدية الأمتحان بسبب ذراعه المشلولة .

-- المعنى : هروب .. أى عرض هيستيرى تحولى ..

– لماذا ؟ : اقتطع أبوه من طعام الأسرة لينفق عليه .. ولكنه أهمل ولم يستذكر ، وعرف أن الرسوب مصيره .. فكيف يواجه أباه ؟ أو كيف يواجه نفسه ؟

– الحل : يقدمه العقل الباطن فيحول الصراع الذى يعانيه هذا الطالب إلى شلل فى ذراعه اليمنى .. انشغل الأب بهذه المصيبة وتمنى أن يشفى ابنه حتى إن ظل يرسب مدى الحياة .. (شفيت الذراع تلقائياً من الشلل بعد نهاية الامتحانات) ..

● بعد أن أكد لها الأطباء سلامتها وخلوها من أى عائق للحمل اضطر هو أن يعرض نفسه على الأطباء الذين أكدوا استحالة أن ينجب .. ومنذ ذلك الحين والألم يمزق أسفل ظهره ..

– النتيجة : لن يستطيع مزاولة الجنس مع زوجته بسبب آلام الظهر ..

– المعنى : الهروب من العلاقة الجنسية وتغطية عجزه الجنسى الذى أصابه بع أن أكتشف أنه غير قادر على الإنجاب ..

● اهتم به كل أطباء المستشفى بعد أن أصابه الصمم المفاجىء فى أذنه اليمنى والشلل فى ذراعه اليمنى أيضاً .. الجميع كانوا يحبونه لأنه فى خدمة المستشفى منذ عشرين عاماً يجيب على كل تليفوناتهم من خلال عمله كرئيس « للسويتش » ..

– النتيجة : لن يتسطيع أداء عمله بالذات الذى يعتمد على أذنه التى يسمع بها المكالمات ، ويده التى تمسك بسماعة التليفون .

– المعنى : هروب .. لا يريد أن يعمل ..

– لماذا : منذ أسبوع واحد حضر شاب فى عمر أولاده ليتولى العمل كرئيس « للسويتش » وليعمل هو تحت رئاسته لأن الشاب مؤهل بينما هو يجيد فقط القراءة والكتابة ..

– والسؤال : هل يعرف صاحبنا العلاقة بين العَرض الذى أصابه والسبب الذى أدى إليه .. ؟.

- الإجابة : بالطبع لا .. فالمريض لا يعرف مغزى أعراضه .. ووظيفة الطبيب النفسى أن يجد هذه العلاقة .. وأن يناقشها مع المريض حتى يعرف معنى أعراضه ..

• أصبح القيء لا يلازمها إلا ليلاً .. وحار الأطباء فى سببه .. وقالوا حالة نفسية ولكنها لم توافقهم ولم تعالج نفسياً .. وسافر زوجها فى مهمة .. فاختفى القيء شهراً .. وعاد الزوج من المهمة فعاودها القيء ..

- المعنى : هروب .. لأنها ترفض زوجها جنسياً بعد أن رفضته عاطفياً وإنسانياً .. والقيء أفضل عائق للاتصال الجنسى ..

- لماذا : لأنها اكتشفته وهو يغازل شقيقتها .. والمصيبة الأفدح هى استجابة شقيقتها لغزله .. وما خفى كان أعظم ..

- والسؤال : ومتى سيزول العرض ..؟

- الإجابة : لن تشفى من القيء إلا بانفصالها عنه ..

• اعتبروه زوجاً شؤماً وزواجاً نحساً لأن العروس أصابها الشلل فى ساقيها قبل أن تخطو خطوتها الأولى لبيت عريسها فى ليلة زفافها .. وظلت سنة كاملة تعالج من الشلل حتى ضمرت ساقاها من عدم الحركة .. وطلقها الزوج من قبل أن يدخل بها ليأسه من شفائها .. وبعد طلاقها بأسبوع شفيت من الشلل تماماً ..

• خرج من مكتب رئيسه مكفهر الوجه الذى اكتسى بحمرة داكنة وسألوه : ما به فلم يستطيع أن يجيب لأنه فقد النطق ولكنه ظل محتفظاً بقدرته على الكتابة .. فكتب الآتى : دخلت إلى مكتب السيد المدير لعرض الأوراق عليه .. واكتشف خطأ بسيطاً وقعت فيه فنظر إلى بحنق وقال لى أنت حمار .. وشعرت ببركان ينفجر داخل صدرى وتصورت لو أن ابنى كان واقفاً معنا وسمع هذه الإهانة لأبيه .. وفى اللحظة التالية تصورت نفسى وأنا أقول لمديرى أنت ستين حمار رداً لكرامتى ، وفى اللحظة الثالثة تصورت نفسى وأنا مرفوت من الشركة وأطفالى وهم جياع .. ولكننى شعرت أن كرامتى فوق كل شيء .. وهممت بالنطق ولكنى لم أستطع

ووجدتنى اجرى خارج المكتب ..

- المعنى : لقد قام العقل الباطن بحل الصراع .. أراد أن يرد إهانة المدير ولكن ذلك يعنى رفته فأسعفه العقل الباطن بهذا الحل وهو أن يفقده النطق كأنه لم يستطع أن يشتم المدير بسبب المرض الذى أصابه فجأة ..

● أصبح مؤكداً أنه هو السبب فى تلك الحالة الصعبة التى تنتابها كل يومين أو ثلاثة وتفقد فيها وعيها ساعة أو ساعتين .. أجمعت على ذلك الأم (حماته) وأخواتها لقد أصبح يضايقها فى المدة الأخيرة ببخله ورفضه لمعظم طلباتها وكذلك محاسبتها على الوقت الطويل الذى تقضيه خارج المنزل ولا يعلم أين هى ..

وصف النوبات : تأتى بعد أية مناقشة طفيفة تبدى هى تذمرها منها أو عدم ارتياحها .. فتصرخ فجأة وتمسك برأسها ثم ترتطم بالأرض ويتشنج كل جسدها وتمزق ثيابها وتشد فى شعرها وتنطق بلغة غريبة وأحياناً بصوت طفلة وأحياناً يفهم منها بعض الكلمات القليلة كأن تتمتم : أنت السبب .. أنت السبب ..

● ما هى هذه النوبات ؟

هى نوبات هيستيرية .. أيضاً بقصد شد الانتباه أو الهروب من مأزق أو عقاب الطرف الذى أمامها واحراجه وتحميله المسئولية ، أو لمداراة خطأ ارتكبته ..

لا تؤذى نفسها بهذه النوبات .. ولا بد أن تحدث فى وجود أحد أفراد العائلة .. لا تعض لسانها ولا تتبول أثناء النوبة .. وذلك عكس النوبة الصرعية التى تحدث فى أى مكان ليلاً أو نهاراً سواء أكان المريض يجلس وحيداً أم مع الناس ، ويؤذى نفسه حين يقع على الأرض فجأة ويقطع شفته ويعض لسانه وأحياناً يتبول أثناء التشنجات ..

إذن لكل عَرض معنى .. والمعنى يكشف عن السبب .. والأعراض التحولية عديدة وهى : [الشلل - الرعشة - الحركات اللا إرادية - فقد الصوت - العمى - النوبة الهيستيرية - الغيبوبة - اعوجاج الرقبة - فقد الإحساس - الألم (كالصداع أو آلام الظهر أو البطن) - القىء - السعال - التجشؤ - الحمل الكاذب] ..

• الاستجابة الانشقاقية : **Dissociation Reaction**

الأساس هنا أيضاً هو الهروب .. وفى الهيستيريا التحولية كان الإنسان يهرب من همومه النفسية إلى جزء من جسمه .. أما فى الهيستيريا الانشقاقية فهو يهرب من كل جسمه ومن كل نفسه .. لينفصل أو ينشق عنهما ويتحول إلى إنسان آخر لا يعرف شيئاً ولا يتذكر شيئاً عن الإنسان الأول وكأنه ولد من جديد أو كأنه بعث من جديد تحت اسم جديد وهوية جديدة ، وأن ليس له علاقة بالشخص القديم وليست له علاقة بماضيه ، فالإنسان الجديد هو إنسان بلا ماض ولهذا فهو يبدو كالتائه ومن لا ماضى له فهو تائه حقاً إذ يبدو أن الماضى هو العلاقات التى تهدى الإنسان فى طريقه أو هو « البوصلة » التى توجه الإنسان بمعنى أنه يشكل وعى الإنسان بحاضره وبمستقبله .. ولهذا ففى كل صور الهيستيريا الانشقاقية يبدو المريض كأنه مصاب بتشوش فى الوعى ..

.. ويبدو أن مريض « الهيستيريا الانشقاقية » أكثر ذكاءً من مريض « الهيستيريا التحولية » أو هو أكثر تحضراً أو يبدو أن حجم همومه أكبر والضغوط عليه أشد ومشاكله أكثر تعقيداً ولا يمكن مواجهتها بحل جزئى كأن تتوقف يده عن الحركة أو أن يصاب بنوبة إغماء .. الأمر أكبر من هذا .. فليشرد بعيداً .. حالة تسمى « الشرود الهيستيرى » **Fugue** .. يمشى بعيداً جداً .. نسى كل شىء عن ماضيه حتى اسمه نسيَه أيضاً .. يذهب إلى مكان جديد : يبدأ حياة جديدة .. ليس من الصعب خاصة فى مصر أن يقبل الناس إنساناً جديداً غريباً حتى إن لم يكن له ماض .. يندمج فى مجتمعه الجديد .. يعمل معهم ويأكل معهم وينام معهم .. يوماً .. يومين .. أسبوعاً .. شهراً .. شهرين .. ربما يفيق فجأة .. أو يعثر عليه أحد .. أو يشتبه فى أمره شخص لديه حب استطلاع شديد فى التفتيش فى ماضى الغرباء .. المهم أنه يعود إلى عالمه الأول وإذا حاول أن يتذكر عالمه الثانى الذى هرب إليه فإنه لا يتذكر أو يبدو الأمر بالنسبة لذاكرته كأنه حلم مطموس المعالم ..

.. والشرود قد يحدث فى أمراض أخرى كالاكتئاب ومرض الصرع ..

.. وفى أثناء رحلة الشرود يبدو المريض طبيعياً ويمارس أعمالاً معقدة ولا ينسى خبرات سابقة كأن يقود سيارة ..

.. وعَرَض آخر فى الهيستيريا الانشقاقية وهو فقد الذاكرة Amnesia لساعات أو لأيام ، لكل الماضى أو لفترة معينة ، أى هو فقد ذاكرة محيطى لمسح فترة معينة أو أحداث معينة من حياته لا بد أن ينساها ولإن النسيان ليس أمراً إرادياً أى أن الإنسان لا يستطيع أن يأمر عقله بالنسيان فإن العقل الباطن يستطيع القيام بهذه المهمة خاصة حين يكون تذكر الحدث أو الموقف مؤلماً وقاسياً ومعذباً والأمر هنا قريب الشبه بعرض تحولى وهو فقد الإحساس وفيه تأمر المراكز العليا فى الجهاز العصبى الجلد بأن يكف عن الإحساس باسياخ الحديد الملتهبة .. وفى حالة فقد الذاكرة تأمر المراكز العليا مركز الذاكرة بأن ينسى .. والنسيان هو إنكار للحدث .. أى أنه لم يحدث .. وبذلك لا يتألم ..

• امحت من ذاكرته تماماً تلك الساعات التى ذهب فيها إلى منزل « الشلة » وقامر بكل المال الذى فى جيبه وخسره كله وكان عبارة عن مهر ابنته .. ماذا يقول لابنته ؟ ماذا يقول لخطيبها ؟ وكيف يعاقب نفسه ؟ أيقول لهم الحقيقة ثم ينتحر !! ولكن العقل الباطن فزع من مسألة الانتحار هذه فصاحبنا مازال يحب نفسه وما زال يحب الحياة .. إذن الحل فى أن ينسى أنه استلم المهر وينسى أنه بدده فى القمار ..

• طوال رحلة الطائرة التى كانت تقله للقاهرة ظل يحلم بالمبلغ الضخم الذى سيتقاضاه حين الوصول – وقبل أن يأخذ فى إحدى حقائبه ذلك الكيس الصغير الذى يحتوى على تلك البودرة الغريبة الساحرة التأثير الغالية السعر بجنون كأن ذراتها من الماس – لم يخالف القانون مرة واحدة فى حياته .. وكان رجلاً شريفاً مسالماً .. ولكن هول المبلغ جعل مقاومته تنهار فى ساعات قليلة .. أجره فقط على عملية النقل كان يكفى لشراء شقة بالقاهرة وآخرى بالمصيف وشراء سيارة ويتبقى بعد ذلك الكثير . وكان واثقاً من أن أحداً لن يفتش حقائبه فى مطار القاهرة لأن أحداً لا يشتبه فيه .. وحتى إن فتشوا فلن يعثروا على الكيس لانهم وضعوه فى مكان سرى بحقيبته ..

وكإجراء روتينى سأله رجال الجمارك من أى بلد أتيت ؟ وفجأة توقف مخه عن العمل تماماً .. وحاول أن يتذكر فلم يعرف فصمت .. فأعاد الرجل السؤال ولكنه ظل صامتاً .. وهنا ثارت الشكوك حوله .. وفتشوه وعثروا على كيس المخدرات ..

وفى التحقيق لم يستطع أن يدلى بأية أقوال لأنه فعلاً كان قد نسى كل شىء عن موضوع الكيس ..

• وعَرض آخر يسمى « شبه العته الهيستيرى » Hysterical Pseudodementia ..

وهو ليس عتهاً ولكنه شىء شبيه بالعته .. والعته شىء يشبه التخلف العقلى .. أى يبدو المريض كأنه طفل .. وهذا شكل آخر من أشكال الهروب فبدلاً من أن ينسى وبدلاً من أن يشرد فليهرب إلى مرحلة من العمر حيث لا مسئولية وحيث التفكير الخرافى بأن كل شىء ممكن وأنه لا مستحيل .. فليحبُ كالأطفال ، وليأكل الحروف ليبدو كلامه كالأطفال ، ولا مانع من أن يتبول حيث يقف وإن سألوه كم يوماً فى الأسبوع أو كم شهراً فى السنة أو كم عدد أصابع اليد الواحدة فليجب إجابات خاطئة تماماً مثل الطفل حين يبدأ فى التعلم .. ويظهر هذا العَرض بين المسجونين خاصة الذين ينتظرون المحاكمات فى قضايا خطيرة كالقتل حيث لا مهرب وحيث النفس غير قادرة على تحمل هذا الوضع أو هذه الكارثة حيث لا حل .. العقل الباطن يحرك الطفل من مكمنه ليسيطر على الشخصية فينتهى عذابه وقلقه ..

• وهناك وسيلة أخرى للانشقاق والهروب وهى أن يتحول إلى شخص آخر .. حالة تعرف باسم « تعدد الشخصيات Double Personality .

.. يخرج من شخصيته الأصلية .. ينساها تماماً .. هو الآن شخص جديد لا يعرف شيئاً عن الشخص القديم .. فليذهب أين يشاء؟ وليفعل ما يشاء .. وبعد أن ينتهى يعود إلى شخصه الأول وينسى كل شىء مما حدث .. وبذلك لا يكون مسئولاً عما صدر من أفعال من الشخص الثانى أى لن يلوم نفسه ولن يلومه ضميره فهو لم يفعل شيئاً .. عجيب أمر هذا العقل الباطن الذى يخلق من الشخص الواحد عدة أشخاص دون أن يعرف أحدهم شيئاً عن الآخر .. والسبب فى ذلك أن هناك أشياء نتمناها ونرغبها ونشتهيها ونفكر فيها ولكن العقل الواعى يقف لنا بالمرصاد .. هذا عيب .. وهذا حرام .. وهذا خطأ .. ونخجل من أنفسنا من مجرد التفكير أو التمنى .. ولكن تظل الرغبة صادقة وضاغطة .. هناك حصار من حولنا وهناك ضغوط من داخلنا .. ولا مهرب ولا منفذ .. ولا يوجد غير العقل الباطن الذى يستطيع تقديم

الحل عن طريق هذا العَرض الغريب ..

• وأثناء النوم ينام العقل الواعى أيضاً أى يفقد الإنسان اتصاله بالعالم الخارجى فلا يرى ولا يسمع ولا يتحرك ولا يتفاعل .. ولكن العقل الباطن يظل متيقظاً .. إنه لا ينام أبداً ، بل يكون فى قمة تيقظه ونحن نيام حيث يصدر لنا الأحلام .. وأيضاً ينتهز فرصة نوم العقل الواعى فيصدر بعض الأعراض .. ينهض النائم وهو نائم ويمشى ، وقد يقوم بافعال معقدة وكاملة يظن من يشاهده فى أثنائها أنه متيقظ يرتدى ملابسه ويقود سيارته ، ويتجول فى أماكن متعددة ثم يعود لفراشه وينام ويستيقظ صباحاً وهو لا يتذكر ماذا فعل أثناء الليل .. وتعرف الحالة باسم « السير أثناء النوم » Sleep Walking ..

لماذا .. ؟ لان العقل الواعى نائم وأى عرض هيستيرى يجب أن يحدث من وراء ظهر العقل الواعى .. والتجوال الليلى أكثر انتشاراً بين الأطفال .. وهو يعنى أساساً أن الإنسان يعيش صراعاً .. يعيش مشكلة يتجاهلها العقل الواعى أثناء اليقظة ولكنها تضغط على أعصابه وتثقل صدره .. وأثناء النوم يتحرر من قبضة العقل الواعى حين تكون السيطرة للعقل الباطن وتسحبه من فراشه دون أن توقظه وتجعله يمشى ويهمهم بكلمات .. لعلها فترة للراحة والتنفيس أو لعلهاوسيلة للتعبير ..

.. كيف نعالج مريض الهيستيريا ..؟

.. وماذا نعالج ..؟

.. هل العلاج هو شفاء العمى الهيستيرى أو الشلل أو إفاقته من الغيبوبة الهيستيرية أو اخراجه من حالة الشرود ..؟

.. هل يسعد مريض العمى الهيستيرى إذا جعلناه يبصر ، وهل يسعد مريض الشلل الهيستيرى إذا جعلناه يحرك ساقيه أو ذراعيه المشلولتين ..؟

إجابة على التساؤل الأخير أقول إنه لن يسعد .. فهو فى حاجة إلى أعراضه الهيستيرية .. إنه يحتمى خلفها .. إنه يرسل لنا رسالة عن طريقها .. إنها تحميه من الضغوط .. بل أنه سعيد بأنه يؤدى دور المريض .. أى أن المرض يخدم المريض .

ولهذا نلاحظ أننا إذا أزلنا الأعراض الهيستيرية بشكل مفاجىء وسريع فإن المريض يكتئب وينهار .. ولا أنسى فى بداية عملى بالطب النفسى أول مريضة بالعمى الهيستيرى .. وصممت على أن أجعلها تبصر فى أول لقاء بل فى أول دقائق تجلس فيها أمامى .. واقتربت منها بجهاز الصدمات الكهربائية وقمت بإعطائها لسعه كهربائية صرخت بعدها وأبصرت ، ولكن فى ثوان انقلبت إلى وحش كاسر يصرخ ويحطم كل شىء أمامه رغم أنه كان من المتوقع - حسب فهمى وقتها - أن تكون شاكرة وسعيدة ..

.. ولهذا فإن إزالة العرَض الهيستيرى هو أمر ثانوى وإذا أزلناه بسرعة دون أن نساعد المريض المساعدة الحقيقية فإن العرَض سرعان ما يعاوده الظهور أو قد تظهر أعراض هيستيرية أخرى ..

.. علاج الهيستيريا يبدأ بأن نحاول أن نفهم .. أن نسأل لماذا ..؟ .. ولماذا لجأ المريض إلى هذه الوسيلة ..؟ ما وراء هذا العرَض ..؟ ما هى المشكلة ..؟ ما هو الصراع ..؟ فلنتكلم فى البداية مع المريض .. مع أهله .. مع أصدقائه لعلنا نفهم شيئاً .. فإذا لم نستطع نحاول أن نرتب لقاء مع العقل الباطن وهذا ممكن عن طريق حقنة تخدير (أميتال صوديم) .. عن طريق هذه الحقنة يمكن لقاء العقل الباطن وجهاً لوجه ويمكن إجراء حوار معه .. والعقل الباطن على عكس العقل الواعى لا يكذب بل يقول كل الحقيقة الفجة .. لا بد أن نفهم لماذا ..

.. ثم نتلكم مع المريض .. مرات ومرات .. يجب أن نشركه معناً فى محاولة فهم لماذا .. لا بد أن يعرف لماذا لجأ إلى العرَض الهيستيرى .. إنها فرصة للمريض لكى يعبر ويقول ويحكى ويناقش لكى يكتسب وعياً .. بمجرد أن يفهم سيختفىَ العرض ومن الصعب أن يعود مرة أخرى .. ولا بد أن نشرك الأسرة .. أو نشرك من لهم علاقة بظهور العرَض .. علاج الهيستيريا ليس عقاقير ولكن يجب أن نتعامل مع الشخصية لكى تكون أكثر نضجاً وأكثر وعياً وأكثر قدرة على مواجهة الواقع والتعامل معه ،

والتكيف مع متغيراته وصعوباته .. لتكون أكثر قدرة على التعامل الناضج السّوى مع الناس .

.. ويجب أيضاً أن يتم بعض التعديل فى بيئة المريض إذا أمكن ذلك لإزالة مصادر تعبه وتخفيف الأعباء ..

.. ولا مانع من إعطاء بعض العقاقير لإزالة قلقه وتوتره وبعض اكتئابه إن وجد ..

.. ولكن الأساس فى علاج الهيستيريا هو : الفهم .. من أجل مزيد من الوعى ..

الاكتئـــــاب

Depression

من أكثر الأمراض التى تثير حيرتى واهتمامى مرض الاكتئاب .. وقد قرأت عنه كثيراً جداً فى بداية إشتغالى بالطب النفسى وأيضاً كنت أمضى وقتاً كبيراً مع مرضى الاكتئاب .. وفى البداية كنت أتساءل لِمَ خلق الله مرض الاكتئاب فهو مناقض للحياة – تماماً – ومناوىء لها ومجهضها من معناها وجمالها وزهورها ومطفىء لكل أنوارها شمسها وقمرها .. والاكتئاب إذا نثرته على الزرع أحرقه ، وإذا أطلقته فى الهواء أفسده ، وإذا سرى فى الدم سممه .. وهو أكثر فتكاً من الميكروبات القاتلة يهاجم بشراهة كل خلايا الجسم فيعطلها ، فهو ليس مرضاً عقلياً أو نفسياً فقط وإنما هو مرض جسدى ينهك الجسد ويؤذيه ، يعصره بالألم أو يكويه بالنار ، يقبض على القلب ويضغط على الصدر ويسد المعدة ويشل الأمعاء ..

أما النفس فتنسحق تحت ضرباته القاسية حزناً وهماً ويأساً فلا أمل ولا نجاة ويصبح الاستمرار فى الحياة عبئاً ويصبح النهار حملاً ثقيلاً ويصبح الليل ملاذاً وهروباً ..

وتحاول النفس فى البداية أن تنجو من هذا الهول الزاحف فتذهب إلى مكان كان يروقها أو تسمع لحناً كان يعجبها أو تأكل طعاماً كانت تشتهيه أو ترتدى ثياباً كانت تزيدها رونقاً أو تمارس حباً أو ترقص أو ..أو .. أو .. ولكن بكل أسف لم يعد هناك شيء يجلب متعة أو فرحة .. ذهب الحماس لأى شيء ومات الجمال فى كل شيء وانعدمت اللذة من أى شيء وبات كل شيء باهتاً مستوياً يبعث على الضجر ..

ويأسى الإنسان لحاله ، ثم يرى أنه يستحق عذاب الدنيا كلها ، وأن هذا عقاب لآثامه وذنوبه ، فهو عار ووجوده ضار والأفضل أن يموت .. والآن .. ورغم سنيّ العمل الطويلة فى الطب النفسى فإن ضعفاً يلازمنى فى بعض الاحيان ويجعلنى أتعجب وأسأل لماذا خلق الله الاكتئاب ؟ وإيمانى بالله يجعلنى أرى فى كل شىء يصنعه معنى وحكمة ..

.. ولا أتصور إنساناً يدرك بعمق وفهم معنى الحياة إلا إذا مر بتجربة اكتئاب ..

.. ولا أتصور إنساناً يشعر بأهمية الحب فى حياة البشرية إلا إذا مر بتجرة اكتئاب ..

.. ولا أتصور فناناً (مبدعاً خلاقاً) يستطيع أن ينسج ألحاناً أو ألواناً أو كلمات تعبر عن الإنسان وحياته بصدق إلا إذا مر بتجربة اكتئاب ..

إن المرور بتجربة اكتئاب والخروج منها يكسب الإنسان وعياً جديداً ..

.. إن شيئاً ما يتغير بداخله .. أو يتطهر داخله .. خاصة الوجدان (أعنى العواطف) وكأن الاكتئاب قد شق صدره واستخرج قلبه وخلصه من كل الشوائب البشرية (من حقد وحسد وكراهية وعداء) وأعاده مكانه ..

فمن يعتصر بتجربة الاكتئاب يقول بعد شفائه : خسارة أن تمضى لحظة حياة دون أن يبادل الإنسان كل البشر حباً وسلاماً ..

والأكتئاب أنواع كثيرة ..

وأبسطها الاكتئاب التفاعلى أو « الاكتئاب العصابى) **Reactive Depression** .

ويتضح من الاسم أنه مرض عصابى أى نفسى وليس مرضاً عقلياً .. فالاتصال بالواقع سليم والسلوك سليم والمريض مستبصر بحالته .. وهو تفاعلى يمعنى أنه يحدث نتيجة لضغوط أو أزمات حادة يتعرض لها المريض ويتفاعل معها بالاكتئاب ، وتفاعلى أيضاً معناها أن تغيير البيئة وتحسين الظروف وانفراج المشاكل أو حتى عامل الزمن

كفيل بشفاء حالة الاكتئاب أى أنها تتفاعل وتتأثر بالمتغيرات المحيطة بالمريض .. وهو فى هذا يختلف عن الاكتئاب العقلى الذى ليست له علاقة بالظروف المحيطة ..

والأعراض كلها تتركز فى أن المريض يشعر بالحزن وأنه غير قادر على الاستمتاع مع فقدان الأمل وإحساسه بالضعف ، واضطراب نومه وطعامه . ويشعر أن تغييراً سيئاً أصاب حياته .. ويحاول أن يفرح ولكنه لا يستطيع فيزداد إحساسه بالتعاسة ولكنه يستطيع بسهولة أن يشير إلى السبب الذى أدى به إلى هذه الحالة .. وهو أول من يذهب للطبيب لمساعدته وعلى استعداد ان يتناول أية عقاقير أو-أن يتبع أية نصيحة لمساعدته ..

.. ولا شك أن هؤلاء الناس لديهم استعداد ما للاستجابة الاكتئابية أمام المشاكل والضغوط أقصد أن شخصية معينة هى التى تصيبها مثل هذه الحالة وهى الشخصية التى تتسم بعدم النضج الانفعالى وسرعة تقلب المزاج تبعاً للمؤثرات المحيطة .. ومريض الاكتئاب التفاعلى يجد صعوبة فى بداية النوم وأيضاً تشتد لديه حالة الاكتئاب فى نهاية اليوم ..

ومضادات الاكتئاب مع المطمئنات الصغرى بالإضافة للعلاج النفسى التدعيمى يفيد كثيراً فى هذه الحالات .. والذى لا شك فيه أن مرور الوقت الذى يفقد المشاكل تأثيرها الحاد اللاذع يساعد فى تحسن الحالة ..

أما بالنسبة للاكتئاب العقلى فالأمر مختلف تماماً .. وهو يدخل ضمن مجموعة من الأمراض تسمى « الاضطرابات الوجدانية » Affective Disorders ..

وتتميز بأن الإصابة تكون أساساً فى الوجدان ، وأن كل الأعراض يمكن إرجاعها للوجدان المضطرب .. كما أن هذه المجموعة من الأمراض تأتى فى صورة نوبات متكررة أى أنه مرض دورى .. ولحسن الحظ يكون الشفاء منه كاملاً ولا يترك أية آثار ..

ويمكن تقسيم هذه المجموعة كالآتى :

١ – « ذهان الاكتئاب والهوس الدورى »

Manic - Depressive Psychosis

أ – « الاكتئاب الذهانى » Psychotic Depression

ب – « الهوس والهوس تحت الحاد » Mania and Hypomania .

جـ – « الهوس والاكتئاب الدائرى » .

د – « الهوس والاكتئاب المختلط » .

٢ – « اكتئاب سن اليأس » Involutional Melancholy

.. أى أن المرض قد يأتى فى صورة اكتئاب أو قد يأتى فى صورة هوس (مرح) وقد يتعاقب الاكتئاب والهوس ، أى يصاب المريض مثلاً بالاكتئاب ثم يشفى ثم يصاب بالهوس وهكذا .. وقد يأتى الاكتئاب والمرح معاً فى آن واحد ..

وغريب أن الاكتئاب والمرح يجمعهما مرض واحد فيتعاقبان فى نفس المريض أو يتواجدان فى وقت واحد .. يكتئب المريض فيحاول أن ينهى حياته ثم يصيبه الهوس فينهل ما وسعه من الحياة .. وكلتا الحالتين من نفس النبع وهو الوجدان .. وبعض المحللين يرون أن مرض المرح هو دفاع ضد الاكتئاب أى أن هذا المريض الذى يعانى من الهوس هو فى حقيقة الأمر يعانى اكتئاباً شديداً وهو يدفع الاكتئاب عن نفسه ويقاومه بحالة المرح التى تبدو فى الظاهر ..

إلا أن الحقيقة العلمية (الكيميائية) تظهر أن كلتا الحالتين لهما نفس الأساس الكيميائى ففى مرض الاكتئاب تزيد نسبة الصوديوم المختزن Residual Sodium بنسبة ٥٠٪ بينما ترتفع فى مرض الهوس إلى ٢٠٠٪ .. إذن الاختلاف هو اختلاف كمى وليس اختلاف نوعى أى أننا أمام مرض واحد وليس مرضين ..

وفى الاكتئاب تنخفض نسبة الاحماض الامينية فى بعض مراكز المخ وهى :

السيروتونين ، والدوبامين ، والنور أدرينالين - Sertonin - Dopamine .. Noradrenaline

والعلاج يكون من خلال العقاقير التى ترفع من تركيز هذه الهورمونات العصبية ، أما فى حالة الهوس فإننا نعطى العقاقير التى توقف من تأثير نفس هذه الهورمانات أى أن الأمر يبدو كأن الهوس يحدث نتيجة لزيادة تركيز هذه المواد أما فى الاكتئاب فهى تنخفض بشدة ..

.. إذن الاكتئاب الذهانى هو مرض كيميائى يحدث نتيجة لنقص هذه الأمينات .. ولكن لماذا تنقص ؟ لا أحد يعرف بالتحديد .. ولكن هناك أكثر من عامل يهيىء الشخص للإصابة بهذا المرض .. والعامل الوراثى له دوره الذى لا يستهان به ، وكذلك نوعية الشخصية .. والشخصية الدورية تصاب أكثر Cyclo-thymic Personality يميل صاحبها من الناحية الجسمية إلى البدانة ومن الناحية النفسية إلى الانبساط ويعرف بين أصدقائه بأنه « طيب » وقلبه أبيض ، ولكن تنتابه فترات من هبوط المعنويات والميل إلى العزلة وفقدان الاهتمام .

ونسبة انتشار الاكتئاب عالية تصل إلى حوالى ٥٪ أى يوجد ما يقرب من مائتى مليون مكتئب فى العالم .. كما أن ٧٠٪ من حالات الانتحار التى تمت سببها الاكتئاب وذلك لأن ١٥٪ من مرضى الاكتئاب الذهانى ينتحرون .. وهذه أرقام هامة لمن يهمه الأمر من الأطباء والأهل والأصدقاء وهو أكثر انتشاراً بين النساء منه بين الرجال . والنسبة تصل إلى ٣ : ٢ وذلك له ارتباط بالوضع الهورمونى الفسيولوجى الخاص للمرأة .

فالاكتئاب تزيد حدته قبل بدء الطمث وأيضاً مع الحمل وبعد الولادة ومع اقتراب توقف الطمث نهائياً أى فى سن اليأس . وعموماً يزيد الاكتئاب الذهانى بعد سن الثلاثين سواء فى الرجال أم فى النساء ..

وأيضاً يزيد بين المثقفين والأذكياء والفنانين المبدعين .. والاستثناء هو أن تجد فناناً أصيلاً لم يعان من الاكتئاب خاصة أن معظمهم من الشخصيات الدورية التى ترى الأمر على وجهيه من انبساط وحزن ..

.. وقد تبدأ الحالة فجأة بعد صدمة أو فى مواجهة مشكلة .. وقد يبدأ تدريجياً دون سبب واضح .. وهو مرض متكرر .. قد يأتى مرة واحدة وقد يأتى مرة ثانية وثالثة بعد سنة أو عدة سنوات .. ولهذا فهناك أساليب وقائية لضمان عدم تكرار الحالة ..

وأعراض الاكتئاب تكون أشد صباحاً ابتداء من فترة ما بعد الفجر حيث تكون فى ذروتها وحين يستيقظ المريض وكل العالم نائم إلا هو ، ويرى السواد من حوله وفى داخله ويتمنى ألا يبدأ اليوم فهو يخاف بداية كل يوم جديد ويغطى وجهه حتى لا يرى النور وترن الهواجس فى رأسه ويشعر بأن شيئاً ثقيلاً موضوع فوق صدره أو على بطنه ، ويحاول أن ينهض فيجد تثاقلاً وتراخياً فى كل جسده وكأن أجزاءه غير مرتبطة بعضها بالبعض .. ويشعر أنه أكثر الناس تعاسة فى العالم ويسأل نفسه ولماذا أقوم ولماذا أذهب إلى العمل ولماذا أكسب .. ما جدوى الحياة فهى تعب وألم وعذاب ، ويتمنى الموت .. ويشعر أن قناته الهضمية مسدودة فلا تسمح بدخول أى طعام ويهزل ويفقد وزنه ويذهب إلى عمله كأنه يساق إلى المشنقة ، ويشعر أنه مشتت الفكر عاجز عن التركيز ، متردد ، لا يستطيع اتخاذ قرار ، بل يشعر أحياناً بخوف ورعب داخلى ، وقد يشعر أنه أقل الناس أى يحط من قدر نفسه **Self depreciation** ، وقد يشعر أنه مخطىء وآثم **Delusions of Guilt** ، ويتذكر أخطاء بسيطة ارتكبها منذ سنوات عديدة وانتهى أمرها وأثرها ويظل يحاسب نفسه ويؤنبها ، ويشعر أنه فقير معدم لا يملك شيئاً **Delusions of poverty** ، وقد يظن أنه عار على أسرته وأنه جلب لهم الشر والنحس ..

كل هذه الأعراض تسمى ضلالات (هذاءات) **Delusions** وأبرزها « الضلالات العدمية » **Nihilistic delusions** .

وفيها يشعر أن قلبه توقف أو أن أوردته خلت من الدم أو أن مخه قد ذاب ورأسه أصبح خاوياً وقد يشعر أن العالم من حوله قد توقف وأن الزمن لا يمضى وأن كل شىء قد انتهى ومات ..

وأيضاً قد يشعر مريض الاكتئاب بآلام فى جسده .. آلام قاسية تعذب أى مكان فى جسده ويخوض رحلة طويلة مع الأطباء دون اكتشاف سبب لآلامه .. وقد يظن

أن به مرضاً خطيراً بل يكون معتقداً وواثقاً من وجود هذا المرض كالسل أو السرطان أو رض جنسى ويسمى هذا العرض « بهذاءات المرض » Hypochondrical Delusions .

ويشعر أنه لن يشفى من هذا المرض وأنه لا ضرورة لأى علاج .. وقد يسمع صوتاً يشتمه أو يسبه أو يؤكد له أنه سيىء وأنه آثم أو أن رائحته كريهة أو أن شكله دميم .. أى أن هذه الهلاوس Hallucirations تدور حول نفس المعانى .

ومعظم مرضى الاكتئاب الذهانى رجالاً ونساء يفقدون الرغبة الجنسية وتصبح بالنسبة لهم عبئاً ثقيلاً واضطرابات الجهاز الهضمى شائعة بين مرضى الاكتئاب كالأمساك وعسر الهضم والغثيان وآلام القولون وآلام المعدة .

ومريض الاكتئاب تستطيع أن تعرفه من وجهه الذى يبدو متهدلاً حزيناً مسدلة جفونه ، مقوس الظهر خافض الرأس بطىء الحركة مهملاً فى مظهره وقد تلحظ دموعاً فى عينيه أو قد تلحظ تحجراً وذهولاً وبطئاً فى الكلام وعدم رغبة فى تبادل الحديث وقد يشكو صراحة من مشاعر الحزن وقد يتحدث صراحة عن أمنيته فى موت سريع ليخلصه من الحياة .. وقد يتخذ القرار فعلاً وهو فى قمة ضعفه وهذا أمر غريب .. فهذا الإنسان لا يستطيع أن يبت فى أتفه الأمور ولكنه يتخذ أخطر قرار إنسانى بأن يقتل نفسه .. ويدبر هذا بحذر شديد وبدون أن يدرى أحد وينتهز فرصة خلو البيت من أهله ويقدم على فعلته كما لا يدع أية فرصة لإنقاذه ، وفى الساعات الأخيرة قبل التنفيذ قد يبدو عليه بعض التحسن كأن يشاركهم الابتسام أو الطعام أو الاهتمام بأى شيء وبذلك يأمنون له .. ويبدو أن تحسناً نسبياً فعلياً يطرأ عليه لأنه يشعر بالارتياح بعد اتخاذ القرار الذى سيريحه من عذابه وهذا يظهر مدى الرغبة الشديدة فى الموت ، وأنه فعلاً بالنسبة له هو الخلاص الوحيد وأنه فقد كل أمل .. و حينما يصبح الأمل صفراً تهون الحياة تماماً .. وحين تُسد كل الطرق يظهر الموت كطريق الخلاص .. وحين تصل النفس إلى قمة يأسها تحرقها أنفاس الحياة فتنحدر هاوية فى وادى الموت ..

كل هذا لأن « السيروتونين » أو « الدوبامين » « والنور أدرينالين » قد انخفضت

نسبها فى المخ .. والمطلوب رفع هذه النسب .. وقبل ذلك لا بد من التشخيص السليم .. لا بد من استبعاد الأمراض العضوية التى تسبب اكتئاباً مثل نقص هورمون الغدة الدرقية (المكسيديما) أو زيادة أفراز « الكورتيزون » كما فى أورام الغدة الكلوية أو إذا كان الاكتئاب بسبب تعاطى « الكورتيزون » أو تعاطى عقار « السيربازيل » الذى يستعمل فى علاج ارتفاع ضغط الدم .

ثم بعد ذلك نعطى العقار المناسب على أن تكون الجرعة مناسبة .. ووظيفة العقاقير المضادة للاكتئاب أن ترفع نسبة الهرومونات العصبية فى المخ .. وهناك مجموعات كثيرة أهمها :

١ – « المركبات الحلقية الثلاثية » Tricyclic Compounds .

وأبرز أعضائها « التوافرانيل » ، « التريبتزول » و « الأنفرانيل » .

وتفيد هذه المجموعة فى حالات الاكتئاب الذهانى والتأثير المفيد لهذه العقاقير يبدأ بعد أسبوعين من بداية العلاج ، ولهذا يجب إعطاء فكرة للمريض وأهله أن التحسن لن يكون سريعاً ، وعلى الطبيب أن ينتظر شهراً على الأقل حتى يقيّم مدى فاعلية الدواء بشرط أن يعطى الجرعة المناسبة .. ولهذه العقاقير بعض الأعراض الجانبية البسيطة مثل جفاف الحلق والإمساك ورعشة خفيفة بالأطراف ولكن سرعان ما تختفى هذه الأعراض مع الاستمرار فى العلاج ، وأيضاً يجب أن يعرف المريض ذلك من البداية حتى لا ينزعج بهذه الأعراض الجانبية .

٢ – المركبات الحلقية الرباعية Tetracyclic Compounds مثل عقار « اللوديوميل » .. وله نفس خواص المركبات الثلاثية ..

٣ – مضادات الاكتئاب البسيطة : المانعة لأكسدة الانزيمات الأحادية الأمينية Mono - Amine Oxidase Inhibitors وتستعمل هذه المركبات أساساً فى حالات الاكتئاب التفاعلى والقلق النفسى وتعطى تأثيراً سريعاً فى خلال أسبوع .. والمتوافر منها فى مصر عقار « البارنيت » وعقار « البارستلين » ..

والأعراض الجانبية قليلة جداً مثل جفاف الحلق وانخفاض ضغط الدم ولكنها أيضاً تختفي مع الوقت .. وعلى كل حال فإن هناك قاعدة فى علم الأدوية تقول : إن الدواء الذى ليست له أعراض جانبية لا تكون له أية فائدة علاجية . No side effects .. No effect

وأيضاً فإن مريض الاكتئاب فى سبيل أن يشفى يتحمل أى أعراض جانبية ـض عبارة حين يقولها المريض أعرف أنه فعلاً يعانى من الاكتئاب .. يقول مريض الا ـسـبـ الحقيقى : اعطنى أى شىء حتى وإن كان سماً .. المهم أن أشفى من اكتئابى ..

أما إذا جاءنى المريض بعد يومين أو ثلاثة وهو ضجر من الأعراض الجانبية أو يكون قد توقف عن استعمال الدواء فإننى أتشكك فى مدى صدق اكتئابه ، وأعيد أنا النظر فى تشخيص حالته ..

وعادة فإن مرضى الهيستيريا هم الذين يشكون بشدة من الأعراض الجانبية ويبالغون فيها ويمتنعون عن تعاطى الدواء وينكرون أي تحسن .. وننصح المرضى الذين يتناولون « البارنيت » أو « البارستلين » بعدم تناول الأطعمة التالية : [الجبن – الزبادى – الموز – الفسيخ والملوحه – الفاصوليا البيضاء – اللوبيا – العدس – الفول – المكسرات – كبد الفراخ – الشيكولاته – البسطرمة – اللنشون – اللحم المعلب والسمك المعلب – البيرة – النبيذ] . فتناول هذه الأطعمة أثناء العلاج « بالبارستلين » يسبب ارتفاعاً فى ضغط الدم .

.. ونستمر فى أعطاء العقاقير المضادة للاكتئاب لمدة ثلاثة شهور ثم نخفض الجرعة تدريجياً على مدى ثلاثة شهور أخرى .. أى أن المدة الكلية للعلاج تصل إلى حوالى ستة شهور .. وهذه العقاقير لا تسبب أى نوع من الإدمان على عكس ما يعتقدون بعض غير المتخصصين ويمكن التوقف عن تعاطيها بسهولة – تحت إشراف الطبيب – بعد الشفاء من الاكتئاب .

والعلاج بالجلسات الكهربائية مفيد جداً فى حالات الاكتئاب الذهانى وكذلك اكتئاب سن اليأس وفى الاضطرابات الذهانية التى تعقب الولادة .. ولكن يجب ألا

نبدأ به .. بل هو الورقة الأخيرة بعد أن تفشل العقاقير فى شفاء الاكتئاب .. ولقد قل استخدام الجلسات الكهربائية بعد اكتشاف العديد من العقاقير المضادة للاكتئاب وهى لا تقل عن خمسة عشر نوعاً تقريباً الآن .. المهم هو إعطاء الجرعة الكاملة ولمدة كافية ..

وفى حالة الاكتئاب المتكرر أى الذى يزور المريض مرة أو مرتين كل عام فإننا نلجأ للعلاج الوقائى وذلك بإعطاء عقار « الليثيوم » أو جرعات منخفضة صغيرة مِن مضاد الاكتئاب الذى استجاب له المريض وذلك لمدة طويلة حتى نقيه من ارتداد الاكتئاب له مرة أخرى ..

وكحال الدنيا حين تُغرق الإنسان فى بحور الظلمات والتعاسة ثم ترفعه إلى سماء النور والسعادة ، فإن مرض الاكتئاب الذهانى قد ينقلب إلى هوس .. أو قد تأتى نوبة الهوس مستقلة أى بدون أن تسبقها نوبة اكتئاب ، والهوس مثل الاكتئاب قد يكون متكرراً .. وقد يأتى فى صورة مخففة فيسمى « الهوس تحت الحاد » **Hypomania** وقد يأتى فى صورة حادة فيسمى « الهوس الحاد » **Mania** وقد يصبح مزمناً فيسمى « الهوس المزمن » **Chronic Mania** .

وهذا المرض يكشف لنا عن حقيقة هامة وهى أن السعادة الدائمة مرض .. وأن السعادة الزائدة مرض .. وأن الاستمرار على حال واحدة مرض . فكما يتعاقب الليل والنهار ، لا بد أن تتعاقب الأحزان والأفراح .. وبذلك نظل دائماً مربوطين بأرض الواقع ، فالسعادة الدائمة والزائدة معناها الغرور والإحساس بالقوة وبامتلاك كل شيء وبأن كل شيء على أحسن حال بل وبأن الإنسان قادر على كل شيء أى أنه يهدد ارتباطه بالواقع وبذلك تفسد الحياة .. وأيضاً الحزن الدائم والحزن الشديد يملأ النفس يأساً وضعفاً وإحساساً بالدونية وعدم القدرة وانطفاء الأمل وبذلك تموت الحياة ..

.. السعادة الدائمة تفسد الحياة .. والحزن الدائم الشديد يميت الحياة ..

والسعادة الدائمة الزائدة نراها فى مرض الهوس .

• يشعر المريض بسعادة طاغية .. يملؤه المرح وتفيض عليه ومنه النشوى .. وجهه باسم يعكس انشراحاً وتفاؤلاً وقوة وثقة .. يضحك ملء قلبه وبصوت مرتفع .. يرقص مع الموسيقى ، ويعلق بسخرية على كل شيء ويلقى نكاتاً فيشاركه الجميع الضحك .. الطبيب نفسه أحياناً لا يملك نفسه من الضحك .. والمرض يبدو حين يتعدى الحدود اللائقة .. الحدود المرسومة .. الحدود المتفق عليها .. فالمجتمع قد رسم لنفسه حدوداً يجب أن يحترمها الجميع .. ومن يخرج عليها فهو منحرف أو مريض .. والانحراف خروج « إرادى » عن الواقع والمرض خروج « غير إرادى » عن الواقع .. فتلك السعادة الغامرة والثقة الزائدة والإحساس بالقوة تجعله يغازل زوجة صديقه ، ويلقى نكاتاً جنسية أمام شقيقاته وينتقد والده أو رئيسه بألفاظ جارحة .. وقد يتعاظم إحساسه بقوة جسده فيعتدى على من يزجره أو يحاول أن يوبخه .. هو لا يعرف حدوداً يقف عندها ..

• لا يكف عن الكلام .. وينتقل من موضوع لموضوع .. وقد ينتقل إلى موضوع آخر قبل أن ينهى الموضوع الذى يتحدث فيه وتسمى الحالة بتطاير الأفكار لأنه يعانى ضغطاً فى أفكاره فكل فكرة تضغط على التى أمامها بسبب تزاحم وكثرة الأفكار فى ذهنه ويبدو هذا واضحاً لمن يستمع إليه .. ولا يريد لاحد أن يقاطعه ويستشاط غضباً لمن يحاول أن يوقفه أو يعارض أفكاره وهنا قد تحدث الثورة .. كما يدرك المستمع أنه منفصل عن الواقع لأنه يتحدث عن مشاريع كثيرة تبدو كلها خيالية وغير واقعية فهو يريد أن يهاجر أو يريد أن يترك دراسته ويعمل فى التجارة أو يريد أن يبيع أرضه ويشارك فى مشروع كبير أو يريد أن يقدم استقالته من عمله ليتفرغ لمشروعات حرة .. والمشكلة أنه قد يقدم على أى تصرف غير مسئول تكون له عواقب وخيمة ..

• والعواقب الوخيمة الأخرى قد تحدث نتيجة لبذخه الشديد .. وأهل المريض يشعرون أن النوبة قد بدأت تعاوده حين يلاحظون إسرافه .. فتلك من العلامات البارزة لهذا المرض .. يصرف بلا وعى .. ويشترى أشياء لا ضرورة لها ، ولا يناقش فى السعر بل ربما يدفع أكثر مما يطلبه البائع ، بل ويعطى نقوداً لكل من يطلب منه ويكتب شيكات دون أن يكون له رصيد .. وقد يتسبب فى النهاية فى خراب مالى له ولأسرته ..

• ومشاكل أخرى قد يتعرض لها نتيجة لسلوكه غير اللائق خاصة السلوك الجنسى .. فيغازل أى امرأة ويتفوه بألفاظ جنسية مما يعرضه لطائلة القانون .. وفى الحالات الشديدة قد يحاول الاعتداء جنسياً على أى امرأة تقابله .. ويعرض الزواج على أى امرأة تقابله .. وعموماً فالهوس يتسبب فى أحاسيس جنسية دافقة قد تؤدى إلى الانحراف .. وتكون المشكلة أخطر إذا أصاب الهوس إمرأة أو فتاه وتكون الأسرة فى موقف حرج جداً .. فالسيدة العجوز قد تغازل شاباً فى عمر ابنائها وتعرض عليه الزواج وتعرض أن تساعده مادياً بأى مبلغ يطلبه ، والفتاة الصغيرة قد تتورط فى علاقات جنسية دون أية مقاومة وبرغبة منها إذا وقعت فى يد ذئاب بشرية لا ترحم ..

• ويصاحب ذلك المبالغة فى الملبس الذى يتناسب مع حالة المرح والخروج عن الواقع ويتنافى مع سن المريض ومكانته الاجتماعية .. فتلبس السيدة الوقور ألواناً زاهية وتكشف عن جسمها وتبالغ فى مكياجها وكذلك الرجل الوقور يلبس ألواناً زاهية غير متناسقة ، والفتاة المحجبة قد تخلع حجابهاوتلبس ملآبس خليعة وتصبغ شعرها باللون الأصفر أو الأحمر وتدخن فى الأماكن العامة ..

• وفى الحالات الحادة يصاب المريض بالهذاءات « الضلالات » وأهمها هذاءات العظمة Grandiose Delusions .

فيرى أنه أذكى الناس وأقواهم بل إن ذكاءه وصل إلى حد العبقرية أو أن قوته لا يقهرها أحد .. وفى الحالات المتفاقمة قد يعتقد أنه نبى ، أو أنه إله وأن على الجميع أن يعبدوه ويطيعوه ..

وليست كل حالات الهوس يكون من أعراضها المرح .. فقد تأتى فقط فى صورة كثرة الحركة وكثرة الكلام والعصبية والعدوانية وقد يكون المريض فى حالة ثورة مستمرة ولا يمكن التحكم فيه ..

.. والأرق منَ العلامات المميزة للهوس .. وقد تبدأ الحالة بالأرق .. وقد يظل المريض لعدة أيام بدون نوم .. فإذا أضفنا إلى ذلك كثرة الحركة والنشاط الزائد فإننا نتوقع له الإنهاك التام بعد أيام قليلة وقد يصاب بحالة من تشوش الوعى والهذيان وعدم

التعرف على الزمان أو المكان أو الأشخاص ..

.. والعلاج يكون بواسطة العقاقير القوية المهدئة حتى ينام وتقل حركته ويقل كلامه .. ويفضل أن نبدأ بالحقن فقد تكون أسرع فى التأثير .. وعقار « الكلور برومازين » من أفضلها ويعرف بأسماء مختلفة مثل « البروماسيد » أو « النيورازين » ويمكن إعطاء كميات كبيرة بالحقن فى العضل .. وعقار آخر مشابه يسمى « سبارين » تعطى أيضاً كميات كبيرة منه فى العضل ..

وأقراص « الميللريل » من المهدئات القوية التي يستحسن استعملها فى البداية ..

ومجموعة « البيوتيروفينون » Butyrophenones تعتبر من العلاج الأساسى فى حالات الهوس ومنها أقراص « هالوبيريدول » وأقراص « سافينيز » .. ويوجد منها حقن طويلة المفعول أى تعطى حقنة واحدة كل أسبوع أو كل أسبوعين تعرف باسم « هالدول ديكانوز » وهى حاسمة التأثير وأمكن بواسطتها الأستغناء عن الجلسات الكهربية فى كثير من الحالات ..

وجميع حالات الهوس لا بد أن نعطيها فرص الاستفادة من أملاح اللثيوم .. وهناك إجماع بين الأبحاث الصادرة من كل بلاد العالم يؤكد أن أملاح اللثيوم تستطيع أن تحقق الشفاء فى حوالى ٨٠٪ – ٩٠٪ من الحالات .. وأيضاً هى تقى الإنسان من الإصابة بالمرض إذا كان متكرراً فى ٧٠٪ – ٨٠٪ من الحالات ..

وتعطى أقراص كربونات اللثيوم (البرياديل) مرة واحدة مساء بحيث تصل إلى ١٢٠٠ مجم أى ما يعادل ٣ أقراص .. ويجب أن تقاس نسبة الصوديوم فى الدم بعد أسبوع ، وكل أسبوع على مدى شهر ثم نقيسه بعد ذلك مرة كل شهر .. و أهم الأعراض الجانبية الغثيان وارتعاش الأطراف وربما الأسهال وكثرة التبول .. وتلك أعراض يمكن ملاحظتها بسهولة وإخبار الطبيب عنها لتنظيم الجرعة ، وفاعلية هذا الداء تتوقف على مدى انتظام المريض فى استعماله .. وأذكر مرة ثانية أنه عظيم الفائدة فى علاج نوبات الهوس وفى الوقاية منها ..

ولا نلجأ للجلسات الكهربية إلا فى الحالات المتهيجة التى لا يمكن التحكم فيها

بالعقاقير .. وهذه الجلسات لا تعالج الهوس ، ولكنها تهدىء المريض وبذلك يمكن إعطاؤه العلاج .. ولذلك فإننا نعطى جلستين أو ثلاثاً فقط ثم نستكمل العلاج بالعقاقير ..

.. والاكتئاب أو الهوس قد يأتى فى بداية الربيع أو الصيف أو الخريف .. وأحياناً فى بداية الشتاء .. ولكن أكثر الناس يضطربون وجدانياً مع الربيع .. فهناك علاقة بين تغير الفصول وبين الحالة الوجدانية .. وتأتى نوبة الاكتئاب أو نوبة الهوس فى نفس الموعد كل عام أو كل عامين .. ومع تكرارها يلاحظ المريض وأيضاً ذووه علاقتها بالفصول .. وأيضاً كل إنسان منا يشعر بتغير ما فى بداية فصل معين .. فالبعض يسعد بغيوم الشتاء وآخرون يشعرون بكآبة .. والبعض يهتزون طرباً بقدوم الخريف وآخرون يرون كل شىء باهتاً فى هذا الفصل .. والبعض تتفتح قلوبهم للحب والحياة مع ورود الربيع وآخرون ينهارون حزناً ..

إذن هناك تقلب وجدانى مع تقلب الفصول ودورانها .. وأيضاً مع دورة الليل والنهار .. فالبعض يتيقظ نشطاً متحمساً وآخرون ينهضون بتثاقل وبطء مع درجة من هبوط المعنويات ويتمنون ألا يغادروا فراشهم ، البعض لا يتفتح ذهنه إلا مع قدوم المساء فيشعر بنشاط ومرح ويصبح أكثر قدرة على العمل والتفكير والإبداع .. وآخرون تتبلد أذهانهم مع توغل المساء ..

.. وهكذا كل شىء فى الكون له دورات ..

.. ومراحل العمر أيضاً مرتبطة بالحالة الوجدانية للإنسان فالاضطرابات الوجدانية تزيد كلما تقدم العمر .. ونادراً ما يصاب الإنسان باضطراب وجدانى قبل الثلاثين .. ومع التوغل فى العمر يزداد تعرض الإنسان للاكتئاب .. وأخطر حدثين يتعرض لهما الإنسان فى الثلث النهائى من عمره : انقطاع الطمث عند المرأة والإحالة للمعاش عند الرجل .. فالطمث هو أنوثة المرأة والعمل هو رجولة الرجل .. فانحسار ضوء الحياة والحيوية والاهتمام والدخول فى غيابات الظلمات والخمول والإهمال يتحدد عند المرأة بتوقف الطمث وعند الرجال بالمعاش .. هنا تسيطر على الإنسان الإحساس بخيبة الأمل وأن كل سعيه فى الحياة لم يكن منه جدوى وما سيأتى سيكون أيضاً بلا جدوى .

هذه أحاسيس عامة ومشتركة بين كل البشر بدرجات متفاوتة حسب الظروف المحيطة وحسب رؤيته لذاته وحسب الإمكانيات المتاحة له .. وليس كل إنسان يصاب بالاكتئاب فى هذه السن بل لا بد من استعداد معين .. ويسمى اكتئاب هذه المرحلة « باكتئاب سن اليأس » Involutional Deperession .. وهو أكثر انتشاراً فى النساء عن الرجال .. والنسبة ٨ : ١ وكأنه يكاد يكون مرضاً مقصوراً على النساء .. ونتوقعه بعد الخامسة والأربعين عند المرأة والستين عند الرجل .. ويبدأ بالتفكير فى المرض وتوقع الموت والخوف والرغبة فى العزلة والبكاء وفقدان الشهية للطعام والأرق وإهمال العمل أو عدم القدرة عليه وقد تبدأ الحالة بوساوس قهرية كالشك فى الوضوء والطهارة وعدد ركعات الصلاة و غسيل الأيدى والاستحمام وعد النقود أو معاودة اغلاق الباب أو أنبوبة « البوتجاز » عشرات المرات أو الشك فى أنه نقل مرضاً خطيراً لأبنائه أو تشك السيدة التى بلغت ستين عاماً فى أنها حامل لأنها جلست على الكرسى الذى سبق أن جلس عليه زوج ابنتها ..

.. وقد تبدأ الحالة بأعراض هيستيرية كانحباس الصوت أو آلام فى الجسم أو قىء أو شلل بالأطراف ومن أهم الأعراض التوهم المرضى فيتصور أنه مصاب بمرض عضوى كالقلب أو السل أو السرطان أو مرض تناسلى ويشعر فعلاً بأعراض جسدية .. ولهذا فإن أية أعراض سواء أكانت نفسية أم عضوية تظهر بعد سن الأربعين يجب أن نفكر أن وراءها اضطراباً وجدانياً هو الاكتئاب ويعالج اكتئاب سن اليأس كما يعالج الاكتئاب الذهانى ..

وكما أوضحت فإن علاج الاضطرابات الوجدانية يجب أن يبنى على تشخيص سليم وذلك باستبعاد الاضطرابات العضوية التى تعطى أعراضاً مشابهة .. ثم يجب اختيار العقار المناسب حسب طبيعة الحالة وبالجرعة المناسبة ولمدة كافية .. وهنا يجب التزام المريض وأهله ... وتعاون الأهل ضرورى لأن مريض الاكتئاب يكون زاهداً فى الحياة وفاقداً الأمل فى الشفاء ولذا قد يهمل العلاج .. وبعد الشفاء يجب أن نهتم بالوقاية .. أى نحمى المريض من تكرار الحالة لأننا نتعامل مع اضطرابات دورية .. وعلاج الحالة فى بدايتها أسهل .. ولذا يجب أن يكون المريض وأهله على علم ببدايات الحالة .. أى الأعراض الأولية البسيطة التى تنبىء أو تنذر بقدوم الحالة .. والتدخل السريع والحاسم فى هذه المرحلة يجهض الحالة تماماً ببعض العقاقير ..

والعقاقير هى وسائل إهتدى إليها عقل الإنسان بتوفيق الله .. ولذا فالشفاء من عند الله .. والإيمان هو الذى يقوى من عضد المريض وهو فى أقصى حالات ضعفه .. وشكراً لله الذى جعل الشفاء من أسوأ مرض ممكناً بنسبة ١٠٠٪ ..

الفصـــــام

Schizophrenia

ولد الإنسان ليعيش رحلة حياته مع الناس .. ومنذ اللحظة الأولى يدخل فى شبكة من العلاقات الاجتماعية الضرورية لبقائه واستمراره عضوياً ونفسياً .. ومع نموه اليومى المضطرد يتكون له رصيد من مفردات الحوار الضرورى لتعامله مع الناس .. ليتعلم منهم .. وهم يحرصون على تعليمه لأنه لا يمكن لإنسان أن يعيش مع الناس ويتعامل معهم دون حوار .

والحوار المنطوق بين إنسان وإنسان يكون فى شكل أسئلة وأجوبة وتعليق ورأى وحكاية وشكوى ونصيحة وطلب ورجاء .. إلى آخر ما يمكن تصوره من صور الحوار الذى يدور بين إنسان وإنسان .. وكلمات الحوار المرصوصة فى جمل تحمل المعانى والمفاهيم .. ويساهم الصوت فى توضيح المعنى وتأكيده كالاستفهام أو الاندهاش أو الاعتراض أو الموافقة أو الغضب أو السعادة ، فالكلمات لا تخرج على وتيرة واحدة ولكن الحبال الصوتية قادرة على الإسهام الفعال فى توضيح المعنى بأن تخرج كل كلمة بشكل يتفق والمعنى المقصود بحيث إن نفس الكلمة يمكن أن يكون لها معنيان مختلفان حسب نطقها ..

وأيضاً عضلات الوجه تسهم فى تأكيد معانى الكلمات بأن تظهر الانفعال المناسب سواء أكان غضباً أم إندهاشاً أم موافقة أم استفهاماً أم مباركة ..

وكذلك حركات الرأس واليدين .. أى أن الإنسان يستخدم كل إمكانياته من أجل توصيل معنى معين ..

وهكذا يمضى الحوار بين إنسان وإنسان وفق لغة مشتركة منطوقة وغير منطوقة .. وقد لا تكون هناك كلمات ولكن لا يزال الإنسان يستطيع أن يفهم إنساناً آخر من خلال حركة عينيه وعضلات وجهه .. و هذا شكل من أشكال الحوار غير اللفظى .. وهو أيضاً حوار هادف له معنى .. وهذا الحوار غير اللفظى يرتبط إلى حد كبير بالبيئة .. فمن الصعب أن يتم بين شخصين من بلدين مختلفين .. تماماً كما لا يستطيع شخصان يتكلمان لغتين مختلفتين أن يتحاورا لأن كلا منهما لا يعرف لغة الآخر ..

واللغة كالكائن الحى تنمو وتنضج .. فلغة الأطفال غير لغة الكبار .. ولغة الجاهل غير لغة المتعلم .. ولغة المتعلم غير لغة المثقف .. السن والذكاء والتعليم والثقافة كلها عوامل تؤثر على مدى نضج اللغة .. واللغة الناضجة المستخدمة فى الحوار هى التى تحمل المعانى بشكل واضح وهادف مع الاستعانة بأقل الكلمات ..

وأنت تستطيع أن تتعرف على مدى ذكاء وثقافة إنسان حين تستمع إليه وهو يتحاور مع إنسان آخر أى وهو يتبادل المعانى..

ولكن هل يمكن أن يكون هناك حوار ليس له معنى على الإطلاق .. تصور إنك تراقب اثنين يتحدثان وكل منهما ينظر لوجه الآخر باهتمام وانفعال وأحدهما يتحدث عن سفن الفضاء والآخر يتحدث عن الطرق الحديثة فى زراعة الخضروات .. ويمضى الحوار بينهما ، أحدهما يقول جملة أو عبارة ويتوقف انتظار الرد الآخر .. فيرد هذا الآخر وكأنه التقط خيط الكلام منه وهكذا ..

أتصور أنه سيصيبك الفزع وأنت تراقبهما .. وبعد فترة ستشعر أنهما لا ينتميان لهذا العالم الذى نعيش فيه لأن إجهاض الحوار من المعنى هو سلوك غير بشرى .. سيصيبك الفزع لأن هذا المشهد العجيب يضرب أهم مقوم لحياة الإنسان على الأرض وهو قدرته على الاتصال بإنسان آخر .. ولنوسع المشهد قليلاً وبدلاً من اثنين يتحاوران فلنتصور أن الحوار يجرى بين عشرين أو ثلاثين من البشر يجتمعون فى مكان

واحد ويدور بينهم نقاش فى لا موضوع فكل واحد منهم يقول رأياً أو عبارة لا ترتبط إطلاقاً بالرأى أو بالجملة التى قالها الذى قبله والتى سيقولها الذى بعده .. ولكن الجلسة مستمرة والنقاش مستمر .. أتصوز أنه سيصيبك خوف وأنت تتابع هذا المشهد فتلك نهاية الإنسان على الأرض حين يفقد البشر قدرتهم على الاتصال من خلال الحوار الذى ينقل المعانى ..

.. هذا هو مرض الفصام ..

.. إنه عالم اللامعنى واللاموضوع ..

.. إنه المشهد الذى يصيب الإنسان بالفزع والخوف لأنه مشهد قتل العقل مثلما نفزع حينما نشاهد سكيناً ينفذ فى قلب إنسان ..

.. وقتل العقل هو قتل البشرية .. فالبشرية هى عقل ..

.. وما العقل ..؟

– العقل هو إدراك الواقع بمؤثراته المادية الملموسة المسموعة المرئية ، ومؤثراته غير المادية كالمعانى والمفاهيم .. والتفاعل مع هذه المؤثرات من خلال استجابات سلوكية يصدرها التفكير والوجدان وتنفذها الإرادة .. أى أن العقل هو الوسيط بين الخارج والداخل .. ينقل صورة الخارج إلى الداخل .. ويقوم الداخل بتحميض الصورة وفهم معناها والانفعال بها ثم يفكر فى شكل استجابة لهذه الصورة ثم ينقلها السلوك إلى الخارج ..

.. ماذا لو اضطرب هذا العقل ..؟

ستضطرب علاقة الخارج بالداخل ..

.. كيف ..؟

– سيصبحان كالاثنين اللذين يجلسان فى مواجهة بعضهما ويتحدثان كأنما يتبادلان حواراً ولكن كل واحد منهما يتحدث فى موضوع مختلف تماماً عن الآخر ..

أى سيقول الخارج شيئاً وسيقول الداخل شيئاً مختلفاً ..

.. مثلاً سيرى الأشياء منحرفة ومحرفة أو سيرى أشياء لا وجود لها .. هذا هو اضطراب بالخارج ..

.. ومثلاً سيتهم الناس أنهم يقرأون أفكاره ويطلعون على أسراره .. هذا هو اضطراب الداخل ..

.. سيقول له الخارج : إن هذه العين ترمقه بنظرة غريبة ، وسيقول له الداخل : إنها عين تتهمه بالشذوذ الجنسى ..

.. سيقول له الخارج : إن الدنيا والأشياء تبدو غريبة ، وسيقول له الداخل هذا يعنى أن نهاية العالم ستكون بعد ساعات ..

.. الخارج سينقل إليه صورة اثنين يتحادثان على مقربة منه .. والداخل سيقول له : إنهما يتآمران ضده ..

.. الخارج ينقل له أصوات تسبه .. اصوات لا مصدر لها .. أصوات لا يسمعها إلا هو وحده .. الداخل يقول له أنهم السبب فى فشله الدراسى ..

.. الخارج ينقل له أصواتاً حقيقية خلف بابه ، والداخل يقول له : إنها أصوات المتآمرين جاءوا للنيل منه ..

.. وقمة الانفعصال بين الخارج والداخل حين يكون الخارج مفعماً بالبهجة والفرحة وما بداخله حزين تعيس أو حين يكون الخارج حزيناً يائساً وما بداخله فرح ومسرور أى يفرح لمصيبة تصيبه أو تصيب عزيزاً أو يأسى لفرح يأتيه أو يأتى عزيزاً ..

.. وتتحطم أية صلة واهية أو وهمية تربط الخارج بالداخل ، وتتحطم كل المعانى التى أوجدها البشر ووُجدوا من أجلها ، وتنسحق قيمة الإنسان ، ويصبح الوجود عدماً لا متناهياً حين يقتل هذا الإنسان التعيس أمّه أو أباه ..

.. ذلك هو الفصام .. ويعرف بأسماء أخرى مثل « شيزوفرينيا » أو

« سكيزوفرينيا » ويطلق عليه الناس فصام الشخصية أو انفصام الشخصية .. وليس له علاقة بأية حال « بالهستريا الانفصالية » وهو ليس بالقطع حالة تعدد الشخصيات ..

فنحن أمام مرض عقلى يجسد الانفصال عن الواقع فى أقصى صورة وأقساها .. بل له واقع خاص به هو وحده لا يشاركه فيه أحد ويفترض هو أنه الواقع الحقيقى وما خالف ذلك فهو الكذب والزيف .. واقع لا تدركه إلا حواسه هو وحده فيسمع ما لا نسمع ويرى ما لا نرى .. واقع يأخذ منه معانى لا يستشفها إلا هو وحده فإذا الناس متآمرون ضده وإذا السماء اختصته وحده برسالة .. واقع يتفاعل وجدانه معه بطريقة خاصة جداً فإذا أفراحه وأحزانه لها معان وإرتباطات غير التى نخبرها بوجداننا فيعادى عزيزاً ويصادق عدواً ..

.. ذلك هو مرض الفصام .

.. إنه الانقسام بين مكونات النفس .. وهو أيضاً الانفصال بين هذه النفس وبين العالم الخارجى .. بينها وبين الواقع .. عالم كل الناس وواقع كل الناس ..

.. ذلك هو مرض الفصام ... انقسام على انقسام .. نفس منقسمة لا تستطيع أن ترى الواقع بصورته الصحيحة حتى إن تبدى لها فى صورته الحقيقية .. وواقع مزيف لا يمكن أن ينقل الصدق للنفس حتى إن كانت غير منقسمة على نفسها ..

.. أغلب حالات الفصام تبدأ فى سن مبكرة ما بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، ويعتبر من الأمراض المنتشرة حيث إن نسبة حدوث الإصابة به بين الناس تصل إلى حوالى ١,٥٪ إى إذا اعتبرنا أن تعداد الشعب المصرى حوالى ٥٠ مليوناً ، فمعنى هذا أن هناك ٧٥٠,٠٠٠ مواطن يعانون من هذا المرض العقلى ، وأول من وصفه بدقة وحدد أعراضه الطبيب النفسى الألمانى « كريبلين » ، الذى اعتقد أنه نوع من العته أو التخلف العقلى الذى يصيب الشباب ويؤدى إلى تدهور كامل فى الشخصية ..

ولقد تعددت النظريات لتفسير حدوث هذا المرض الذى كان يعتبر إلى وقت قريب من الأمراض المستعصية غير القابلة للشفاء والتى مآلها التدهور التام ، إلا أن إسهامات

البحوث الكيمياوية استطاعت أن تلقى الضوء على احتمالات لاضطرابات كيمياوية فى المخ فى أثناء تكوين بعض الهرمونات العصبية مثل « الادرينالين » و « النور أدرينالين » حيث تتكون بدلاً منها مواد أخرى هى المسئولة عن هذا الاضطراب .. ومن الغريب أن هذه المواد غير الطبيعية تشبه فى تركيبها بعض المواد الأخرى التى يطلق عليها « عقاقير الهلوسة » مثل : [ل . س . د .] ومن المعروف علماً الآن أن « L. S. D. » يُحدث أعراضاً تشبه تماماً أعراض الفصام ، بل قد يؤدى إلى ظهور هذا المرض فى بعض الحالات .. والعقاقير التى تستعمل فى علاج هذا المرض توقف هذا الاضطراب الكيمياوى ، وبهذا فقد تغيرت صورة المرض النفسى والعقلى إلى ما هو أحسن ، وأصبح من الممكن علاج كثير من حالاته بفضل اكتشاف أسبابها الكيمياوية وتوافر العقاقير اللازمة لعلاجها .

والوراثة تؤدى دوراً غير قليل فى مرض الفصام ؛ فبرغم تعارض كثير من الأبحاث فى هذا الشأن فإنه فى معظم حالات الفصام تجد أحد أفراد الأسرة من قريب أو من بعيد مصاباً بهذا المرض .. وقبل الخوض فى شرح أعراضه تجب الإشارة إلى أن هناك الكثير من العوامل التى تساعد على ظهور الأعراض : كالضغوط الأسرية والاجتماعية إلا أن البعض يؤكد أن هذه ما هى إلا عوامل مفجرة للمرض الكامل نتيجة للعامل الوراثى ..

والمهتمون بالطب النفسى للأطفال يؤكدون أن المرض ينشأ نتيجة لاضطراب علاقة الطفل بوالديه . ونظرية « باتسون » تؤكد أن الطفل يصاب بالحيرة والقلق نتيجة لتعرضه للسلوك المتناقض من والديه : فعالم الوالدين كليهما مضطرب مشوش متناقض ، وينقلان هذا الاضطراب إلى طفلهما ، فأحدهما قد يصدر أمراً للطفل بأن يفعل شيئاً ما ، وفى الوقت نفسه يصدر له الآخر أمراً عسكياً بألا يفعل هذا الشىء نفسه ، ولهذا يقع الطفل فى الحيرة ، ولا يدرى ماذا يفعل ؟ لأنه لو نفذ أيًّا من الأمرين فإنه سيعاقب لهذا فهو لا يفعل شيئاً أى يسلك سلوكاً سلبياً ..

أما « ليدز » فيؤكد أن الأسرة مريضة وأن الطفل الذى يصاب بالفصام ما هو إلا مظهر من المظاهر المرضية لهذه الأسرة ، والاضطراب يكون فى علاقة الوالدين حيث

يكون هناك إنقسام عاطفي : فأحدهما سلبي إعتمادى والآخر شخصية سائدة مسيطرة ، وعادة ما تكون الأم هى المسيطرة صاحبة الرأى الأول فى الأسرة وتحاول اكتساب ابنها إلى صفها ، فيتجاهل الابن أباه ويصبح الأب شخصية ضعيفة على هامش الأسرة ، وتسمى هذه الأم بالأم الباعثة على الفصام ، ويؤكد العالمان « وارنج » و « وريكس » فى سنة ١٩٦٦ هذه النظرية التى تؤكد أن البرود العاطفى بين الوالدين هو المحرك والباعث لمرض الفصام ..

وهذا يعنى أن العوامل الوراثية ليست هى المحددة والقاطعةِ فى ظهور مرض الفصام ، بل أن البيت يؤدى دوراً له أهميته ، ويمكن القول بإن كلا العاملين يؤثران ، فالمريض يرث الاستعداد للمرض ، ثم تأتى البيئة بضغوطها فتساعد على تفجيره .

المرض وظهور الأعراض ..
ما هى هذه الأعراض ..؟

١ – اضطرابات التفكير Disturbance of Thinking

ماهو التفكير ..؟

هو عملية عقلية لا تعتمد بشكل مباشر على المؤثرات الحسية الخارجية وإنما أدواته هى المفاهيم التى يكونها الإنسان منذ طفولته ومن خلال عمليات التعليم والتى ترمز إلى معانى الأشياء .. ومن خلال المفاهيم ، ومن مجموع المفاهيم ، أو من إيجاد ترابط بين مجموعة من المعانى التى ترمز إلى مجموعة من الأشياء تتكون المبادىء والقواعد ..

وهو أهم عملية عقلية تميز الإنسان لأنه يحول عالم الأشياء حوله إلى معان يستطيع الإنسان أن يتصورها وأن يشكلها وأن يجد علاقات بينها ، كما يستطيع أن يتصور أشياء غير موجودة فى واقعه المادى .. ولا بد أن يكون التفكير مرتبطاً بالواقع ؛ حتى إن كان الإنسان يتصور أشياء خيالية غير واقعية فإنه يعرف أن ذلك خيال غير حقيقى أى أن الإنسان يستطيع أن يفرق بين الحقيقة والوهم وبين الواقع والخيال ..

كيف يضطرب هذا التفكير ؟

(أ) اضطراب شكل التفكير : Formal thought disorder

يدور التفكير فى رؤوسنا بالكلمات التى نعرفها ونعبر عنه بالكلمات والكلمات تترابط فى جملة والجمل تترابط مع بعضها البعض لتكون المفاهيم وهكذا يستطيع الإنسان أن ينقل المعانى أى ينقل أفكاره فكل جملة تحمل فكرة أو كل مجموعة من الجمل المترابطة تحمل فكرة .. أى لا بد من هذا الترابط . ومرض الفصام يؤثر على هذا الترابط فيفكك الكلمات من بعضها ويفكك الجمل من بعضها وبالتالى تكون هناك صعوبة فى نقل أو حمل الأفكار .. تكون هناك صعوبة فى متابعة حديث هذا الإنسان لأن هناك عدم ترابط فى الأفكار .. ولهذا فهو يجد صعوبة فى أن يجد المعنى السليم ويدور حوله ويدخل فى تفصيلات غير هامة دون أن يصل إلى هدفه أو إلى مضمون الفكرة التى يريد أن يعبر عنها .. ولهذا يبدو كلامه غامضاً غير مفهوم وهذا يعرضه للرسوب فى الامتحانات ، خاصة إذا كان يفتقد التفكير التجريدى ، ويفكر فقط بشكل حرفى محدد ، ويمكن الكشف عن هذه العلامة بان نطلب من المريض أن يقدم لنا تفسيراً لأحد الأمثال المشهورة مثل : « عصفور فى اليد خير من عشر على الشجرة » . فيقول حرفياً : « إن عصفوراً فى يدى خير من العصافير التى على الشجرة والتى يمكن أن تطير منى » .. أى أنه لا يخرج عن حدود الكلمات فى تفسيره للمثال ، على حين أن هناك معنى مختفياً وراء هذه الكلمات مؤداه أن الفرصة القريبة من الإنسان والتى هى فى متناول قدراته وإمكاناته أضمن وأقرب للتحقيق من فرص كثيرة ولكنها بعيدة قد يعجز أو يفشل فى تحقيقها .. والاستذكار يحتاج إلى تجريد وكذا الاجابه فى الإمتحانات تحتاج إلى قدرة على التعبير عن المعانى التى يحتفظ بها الإنسان فى ذاكرته .. ولهذا فإن الطالب المصاب بهذه الحالة يستذكر بانتظام ولساعات طويلة طوال العام الدراسى ولكنه يفشل فى الامتحانات عدة مرات متتالية ..

هذا المريض يبدأ فى الاهتمام بالفلسفة أو الدين أو علم النفس أى الأشياء الغيبية الغامضة كما ينضم إلى الجمعيات السرية لأنه يجد نفسه فى مثل هذه الأشياء الغامضة غير المحدودة كما أنه يستعمل الألفاظ الصعبة الكبيرة فيبدو كأنه مثقف أو فيلسوف ولكنها فلسفة زائفة Pseudo philosophical وكذلك تكون كتاباته غامضة وصعبة

وغير مفهومة ولكن المتخصص يستطيع أن يكشف عن عدم الترابط فيها .. وتظل هذه الحالات لمدة طويلة دون أن تكتشف .. وتكون شكوى المريض أحياناً من صعوبة التركيز وشكوى الأهل من كثرة الرسوب وشكوى الأصدقاء أو الزملاء أو الزوجة من عدم القدرة على فهمه فأفكاره غريبة ومتناقضة وتبدو كأنها هشة أى فقيرة ، أى معانيها ضحلة ..

(ب) اضطراب التحكم فى التفكير : Disturbance of thought control

التفكير هو ملكية مطلقة للإنسان واحتكار كامل غير قابل للخضوع لأى قوى خارجية .. فلا يمكن لإنسان أن يخترق رأس إنسان آخر ليعرف محتوى تفكيره ويطلع على أسراره وخواطره ونواياه .. لقد كفل الله عز وجل الحماية الكاملة لأفكار الإنسان منذ البداية .. وترك للإنسان أن يحمى جسده وأن يحمى عورته بنفسه وذلك أمر هين ..

وتلك نعمة كبرى وأعظم دليل على حرية الإنسان مهما كان ضعيفاً أو ضئيلاً .. مهما كان عبداً أو سجيناً فقد يستطيع إنسان أن يتسلط على جسم إنسان آخر أو يتسلط على ماله أو عمله أو مستقبله ولكنه أبداً لا يستطيع أن يتسلط على أفكاره وفى ذلك إحساس كبير بالأمان ..

تصور أن إنساناً آخر يستطيع قراءة افكارك ، يستطيع أن يطلع لحظة بلحظة على خواطرك ونواياك وما تنوى أن تفعله .. لا شك أن إحساساً بالذعر سوف ينتابك وتشعر كأنك تمشى فى الشارع عارياً تماماً أمام كل الناس بل هو إحساس أشد قسوة من ذلك .. ستشعر أنك سلبت حريتك الحقيقية ، وستفقد إحساسك بذاتك المتماسكة التى لها حدود نعيها والتى هى مفصولة فصلاً كاملاً ومستقلة تماماً عن أى مخلوق أو كائن آخر .. إن احساسك بذاتك يرجع إلى إحساسك بسيطرتك الكاملة على أفكارك ، بملكيتك لها ، بعدم خضوعها لتأثيرات الآخرين وعدم اطلاع أحد عليها ..

ولكن فى مرض الفصام قد يفقد الإنسان سيطرته على أفكاره .. وقد يكشف ذلك

عن لب مرض الفصام ومعناه وهو تعذيب الذات وتشتتها وتشريدها .. فقدان الحدود الواضحة لهذه الذات .. ضياعها وسط عالم يتكون من أشياء واضحة الحدود والأبعاد .. تماماً مثل تمثال الشمع واضح الملامح بديع القسمات الذى تعرض لحرارة شديدة أذابته فتحول إلى كتلة لا ملامح لها ولا تستطيع أن ترى لها حدوداً واضحة ..

مريض الفصام يشكو وهو فى قلق بالغ أن الآخرين يقرأون أفكاره Thought Reading إما مباشرة وإما عن طريق أجهزة كما أنهم قد يستطيعون قراءتها عن بعد ... يشعر هذا المريض أنه عاجز وبائس وضعيف ولا حيلة له وغير قادر على تدبير أى أمر فى حياته لأن أسراره معروفة أولاً بأول ، الطيب منها والشرير .. مريض الفصام قد يشعر أيضاً بأن أفكاره تسحب منه .. thought Withdrawal ولهذا فهو عاجز عن التفكير لأن ذهنه خال من أية أفكار .. أو قد يشعر أن أفكاراً تزرع فى رأسه Thought Insertion وأن هذا الكلام الذى نسمعه منه ليس كلامه هو بل هناك من يضعون هذه الكلمات على لسانه ليقولها لنا رغماً عنه ، ويشعر بالعجز وعدم القدرة على أن يكون إيجابياً ومبادئاً فى أى موقف لأنه لن يستطيع أن يقول رأياً خاصاً به فكل ما يفكر فيه وكل ما يقوله ليس من عنده وإنما من عند الآخرين .. وعرض آخر وهو « إذاعة الأفكار » Thought Broad casting .

وفيه يشعر المريض أن أفكاره تذاع فى الراديو وتنشر فى الصحف .. فإذا جلس مثلاً ليشاهد التلفزيون وجاءت فكرة ما فى ذهنه ، فإنه سرعان ما ينطق بها المذيع أو أحد الممثلين إذا كان يشاهد فيلماً أو تمثيلية . وإذا قرأ كتاباً فقد يشعر أن مؤلف الكتاب قد سرق كل أفكاره وضمنها الكتاب .. هذه الأعراض تؤدى إلى إحساس مؤلم يمر به معظم المرضى وهو الإحساس بالضياع .. أى لا معنى ولا كيان له كإنسان مما يجعله يفكر فى الخلاص من حياته ..

(جـ) اضطراب مجرى التفكير : Disturbance of Stream

معنى المجرى هو القناة التى تسير فيها الأفكار متتابعة من الرأس إلى اللسان لينطق بها وقد يكون المجرى سريعاً أو بطيئاً أو عادياً .. والمجرى السريع حين تكون الأفكار

متلاحقة إلى حد التطاير نراه فى مرض « الهوس » والمجرى البطىء المتثاقل نراه فى مرض « الاكتئاب » .

أما فى مرض الفصام فقد يحدث عرض خطير وهام وهو توقف التفكير Thought Block .. فجأة وأنت تستمع لمريض الفصام تراه وقد توقف فجأة عن الحديث .. وبعد فترة وجيزة يبدأ الكلام ثانية ولكن فى موضوع مختلف تماماً عن الموضوع السابق .. والذى حدث أن كل الأفكار قد إنمحت تماماً من رأسه فى هذه اللحظة .. ذابت فى لحظة ولذا توقف ولم يعرف فى أى موضوع كان يتحدث لأنه لا أثر لأى فكرة مرتبطة بهذا الموضوع ..

وقد يشكو المريض من العكس وهو أن أفكاراً كثيرة تتزاحم فى رأسه وتضغط لكى يخرجها وأنه يريد أن يقول لنا الكثير .. فإذا تركناه يتكلم فإنه لا يقول شيئاً كثيراً أو مفيداً لأن لديه مشكلة عدم القدرة على التعبير عن أفكاره ..

(د) اضطراب محتوى التفكير : disturbance of Control

المحتوى هو المضمون ، أى الفكرة ذاتها وما تنطوى عليه من معنى .. وهذا المعنى يخضع لقوانين وقواعد وأصول متفق ومتعارف عليها ولا يمكن كسرها أو خرقها أو تحديها وإلا أصبح هذا المحتوى باطلاً فلا يمكن مثلاً لإنسان أن يقول : إن أعداءه يسيطرون على حركاته من خلال قوى مغناطيسية .. وإذا قال ذلك فهو يعانى من اضطراب محتوى التفكير لأن هذا محتوى باطل لأنه خرج عن القواعد العلمية المعروفة .. أى خرج عن الواقع وانفصل عنه .. وهذا الاضطراب يعرف باسم « الضلالات » أو « الهذاءات » والهذاء Delusion هو الفكرة الخاطئة التى يعتقد المريض فيها اعتقاداً راسخاً ولا يمكن زحزحته عنها وإقناعه بعدم صحتها .. ولأن الواقع معناه القواعد العلمية والثقافية والبيئية والاجتماعية لذا فإنه يجب أخذ ثقافة وبيئة المريض فى الاعتبار لأن بعض الأفكار الخاطئة تنتشر فى بعض البيئات والثقافات كالإيمان بالسحر والأعمال وتأثير العفاريت على الإنسان وهكذا .. فإذا جاء إنسان من بيئة تؤمن بهذه الأشياء فإنه لا يمكن أن نعتبره يعانى من الهذاءات .. وهو أنواع :

هذاءات الاضطهاد : Persecutary Delusions

.. وهذا العرَض هو مشكلة المشاكل فى مرض الفصام وهو عرض شائع ويعرض المريض للمتاعب وكذلك الناس من حوله .. فالمريض يشكو أنه مضطهد .. أى صورة من صور الاضطهاد .. ابتداء من المعاملة السيئة حتى القتل .. وهناك مئات النماذج :

- يشكو أن جيرانه يتعمدون إصدار أصوات حتى لا يتمكن من الاستذكار [illegible] .
- يشكو أن جاره حينما يراه فى الطريق يدير وجهه ويبصق على الأرض
- يشكو أن مجموعة من زملائه فى العمل قد أشاعوا أنه شاذ جنسياً .. ولذا فإنه كلما دخل أحد المكاتب نظر الموظفون إلى بعضهم نظرة ذات معنى ..
- يشكو أن شقيقه قد اتفق مع اساتذته فى الكلية وتسببوا فى رسوبه هذا العام بالرغم من أن إجاباته كلها سليمة ..
- يشكو أن زوجته تضع له مادة غريبة فى الطعام (يحتمل أن تكون سماً) وذلك بالاتفاق مع صديقها للتخلص منه لكى يتزوجا ..
- يشكو أن زوجته تقوم [illegible] حتى ينام [illegible]
- يشكو أن صديقه قد استخدم أشعاعات معينة للتأثير على الخصيتين وبذلك يصبح عاجزاً جنسياً وغير قادر على الإنجاب ..
- يشكو أن [illegible] Hypnotized [illegible] لأصدقائه [illegible] يعقدون [illegible]
- يشكو أن مخابرات دولة أجنبية تتعقبه عن طريق القمر الصناعى وترسل أشعة موجهة لرأسه لتحطيم ذكائه ..
- يشكو أن [illegible] إلى الطريق [illegible] تتعقبه [illegible] أمام منزله [illegible] التنبيه [illegible] أصواتاً [illegible]

- يشكو أنه كلما نظر من نافذة منزله وجد الناس فى المنازل المجاورة تسبه فى شرفه وهو يسمع هذه الشتائم بأذنيه ..

- تشكو أن زملاءها بالكلية أحضروا كاميرا خاصة والتقطوا لها صوراً بدت فيها عارية تماماً ، وأنهم يوزعون هذه الصور على كل الطلبة ..

- يشكو أن صديقه قام بتخديره أثناء النوم واعتدى عليه جنسياً .. ولهذا فهو يطلب تحويله للطبيب الشرعى للتأكد من وقوع هذا الاعتداء ..

- يشكو أن زملاءه فى العمل يحاولون سرقة مستندات هامة من مكتبه حتى يوقعوه فى مشكلة ويفقد عمله ..

- تشكون أن عصابة تحاول سرقة أبنها الوحيد أو قتله وهذه العصابة مكونة من ناظر المدرسة والمدرسات فى المدرسة التى يدرس بها ابنها وكذلك بعض الجيران بإيعاز من زوجها السابق لكى ينتقم منها ..

.. المريض يعانى من هذه الاعتقادات .. ولكنه أيضاً قد يثور .. ويصبح عدوانياً .. وقد يعتدى على من يعتقد أنهم يضطهدونه ويتعرض هو لمشاكل قانونية ويضع أسرته فى موقف حرج وكذلك يعرض الأبرياء للإيذاء ..

هذاءات العظمة : Grandiose Delusions

من منا لا يريد أن يكون الأقوى والأعظم والأذكى والأغنى ؟ كلنا نريد .. وكلنا نسعى .. ولكنه أمر لا ينتقص من سعادتنا أن يكون هناك من هم أقوى وأذكى وأغنى منا .. والتوازن النفسى يتحقق بأن نوائم بين قدارتنا وتطلعاتنا ونرضى بما هو متاح ، ونسعى فى حدود إمكاناتنا لتحقيق الأفضل .. ونحقق بعض المستحيل فى أحلام اليقظة لدقائق ولكن سرعان ما نعود إلى أرض الواقع .. بل إن بعضنا يتواضع ويتنازل ولا يكره أن يكون أفضل من أخيه ويأبى أن يظهر تفوقه على زميله ويرفض أن يضعه فى المستوى الأدنى بل يسعده أن يشعر بالمساواة ..

ولكن بعض الناس أيضاً لا ترضى إلا أن تكون الأفضل والأقوى والأعظم والأغنى .. تبالغ فيما لديها وتفاخر بما عندها وتحاول أن تشعر الآخرين بأنهم أقل .. بل إن تفوقها لا يتحقق إلا بأن ترى الآخرين فى الوضع الأدنى .. وقد يصل الأمر إلى حد المرض كما فى حالة الفصام ويصاب المريض بهذاءات العظمة ، وبالرغم من تواضع قدراته إلا أنه يشعر أنه أذكى إنسان أو أقوى إنسان أو أنه صاحب رسالة سماوية بل قد يشعر أنه إله أو أنه مخترع عظيم وأن كل العالم يتحدث عنه .. وقد يرتبط ذلك بهذاءات الاضطهاد فيبرر تعقبهم له أو محاولتهم لقتله بتفوقه عليهم وأنهم مغتاظون لهذه التفوق ولهذا يحاولون النيل منه ..

هذاءات الإشارة أو التلميح : **Delusions of Reference** ..

يتصور أنه أصبح محور كل شيء وأصبح هدفاً لكل حركة تصدر ممن حوله .. فالحديث الذى يتم بين اثنين يجلسان قبالته يدور حوله .. والابتسامة التى تبادلها اثنان وهما يعبران قصدا بها السخرية منه ..

.. وذلك الرجل الذى يقف على ناصية الطريق وبمجرد أن رآه وضع النظارة على عينيه .. وكأنه بذلك يعطى إشارة لرجل آخر لكى يراقبه ويتتبعه ..

.. وبائع الجرائد الذى قال له اليوم « صباحك قشطة » كان يعنى بذلك أنه عرف بأمر شذوذه الجنسى ..

.. ورئيسه الذى ناوله مذكرة ليعيد كتابتها أشار فى هذه المذكرة لموضوع الشذوذ خاصة فى العبارات التى وضع تحتها خطوطاً باللون الأحمر ..

.. وجاره الذى صادفه مساء على السلم وبمجرد أن رآه بدأ يسعل وكان يعنى بذلك الاستهزاء به وإشارة إلى خيانة زوجته له ..

.. وذلك المذيع الذى كان يقرأ نشرة الأخبار هذا المساء وأشار إلى احتمالات الحرب الذرية كان يعنى بذلك أن نهايته قد اقتربت ..

.. وذلك الفيلم الغنائى الذى كان يعرض « بالتلفزيون » الليلة .. كل الأغانى التى جاءت فيه كانت تشير إلى خيبته وفشله فى حبه وكان غريمه هو الذى دس هذه المعانى فى تلك الأغانى ..

وعبثاً نحاول أن نقنعه بعدم صحة هذه التصورات إلا أنه يكون على ثقة تامة بحدوثها وذلك لأنه منفصل عن الواقع ..

هذاءات الخيانة الزوجية أو الغيرة المرضية :
Delusions of Infidility «Morbid Jealousy»

الغيرة إحساس طبيعى عند كل إنسان .. ولكن بعض الناس تكون غيرتهم متطرفة وزائدة وذلك يحدث فى بعض الشخصيات التى تتسم بشكل عام بالحساسية الزائدة والشك والمشاعر الاضطهادية التى تظهر فى مواجهة أى ضغط أو عند الإحساس بالإحباط .. والحساسية الزائدة قد يكون مصدرها بؤرة مدفونة أساسها الإحساس بالعجز أو بالحقارة أو بالدونية .. فكلما زاد إحساس الإنسان بالعجز ، أخذت الغيرة عنده أبعاداً متطرفة تصل إلى حد الإساءة لمشاعر الطرف الآخر .. والتفاوت الشديد بين الطرفين يدعم ويغذى أحاسيس العجز .. أقصد التفاوت الاجتماعى أو الاقتصادى أو التعليمى خاصة إذا كان الرجل فى الوضع الأدنى ..

ولكن هذا النوع من الغيرة لا يدخل فى نطاق المرض لأنه لا ينطوى على اتهام بالخيانة إنما فقط تتعرض الزوجة للمضايقات وتضييق الخناق كمنعها من الخروج أو من التحدث مع الآخرين أو محاسبتها إذا تبسطت أو ابتسمت وهكذا ..

وهذه الغيرة المتطرفة تسبب مشاكل فى الحياة الزوجية ، ومعاناة لكلا الطرفين وقد تنتهى الحياة الزوجية بالفشل ، أو على الأقل فقدان الحب والمودة بينهما أما الغيرة المرضية فمعناها الاتهام بالخيانة الكاملة أو باحتمال أو انتظار وقوعها .. الشىء المؤكد لديه أن هناك طرفاً ثالثاً .. فالمثلث هنا كامل الزوايا : الزوج والزوجة والعشيق .. والمريض هنا يحاول العثور على أدلة ليؤكد ويدلل على صحة امتناعه ، وأية محاولات لإثبات البراءة من جانبها لا تجدى ، بل تثير استهزاءه .

وتأتى أدلته ضعيفة واهية أو غير منطقية إلا أنها بالنسبة له أدلة قاطعة كأن يجد شعرة على الوسادة أو يجد الفراش غير مرتب ، أو يشم منه رائحة غريبة أو أنها غيرت نوع العطر الذى اعتادت استخدامه أو أن لون وجهها يتغير حين يرن التليفون أو أنها تتأثر حين سماعها لأغنية معينة ، أو أنه اكتشف خطاباً مرسلاً من صديقة لها ولكنه يحتوى على عبارات ذات مغزى ..

وقد تكون هناك محاولة الحصول على اعتراف منها وأحياناً يلجأ لاستعمال القوة .. كما يقوم بمراقبتها ..

.. المشكلة أنه قد لا توجد أعراض أخرى إلا هذا العرَض ويكون المريض سوياً فى سلوكه ومظهره وعلاقاته الأخرى .

٢ - إضطراب الادراك Disturbances of Perception

حواسنا تستقبل العالم من حولنا وتنقله إلى الداخل .. نسمعه ونراه ونشمه ونتذوقه ونلمسه .. ويقوم المخ بتفسير هذه الرسائل وإضفاء المعنى عليها .. فذلك وجه باسم لصديق وهذا صوت حاد يحمل عداءً وتلك موسيقى تثير الحزن وهذا هو الضوء الأخضر الذى يعنى أننى أستطيع عبور الطريق الآن .. وهكذا .. أى لكى نرى شيئاً لا بد أن يكون هناك مثير .. ولكل شيء نراه أو نسمعه معنى .. والمعنى يأتى من الداخل من رصيد الذكريات ..

ولكن أن يرى الإنسان شيئاً لا وجود له أو يسمع شيئاً لا مصدر له فهذا أمر غريب وعجيب وهذا خرق للقوانين العلمية .. ولكن مريض الفصام يسمع فعلاً صوتاً يسبه .. يسمعه الآن ونحن نجلس معه ولكننا نحن لا نسمع وهو وحده الذى يسمع .. إذن هذا العبث جاء من داخله .. إذن الرؤية بدأت من الداخل وأسقطها على الخارج .. والصوت سمعه من الداخل واسقطه على الخارج فبدت الصورة وبدا الصوت وكأنهما آتيان من الخارج .. الأمر بالنسبة لنا هلاوس Hallucinations ولكن بالنسبة له حقيقة ..

والهلاوس السمعية أكثر إنتشاراً فى مرض الفصام .. وهى طبعاً أصوات تسبه وتتهمه بالشذوذ أو تعلق على تصرفاته أو تعطى له أوامر وقد يدخل المريض فى حوار معها ولذا نراه يتكلم دون أن يكون معه أحد أو نراه وهو يبتسم بلا سبب ..

والهلاوس البصرية نراها أكثر فى الذهان العضوى فى صورة حيوان تهاجمه وتثير فى نفسه الذعر .. والهلاوس الشمية تكون فى صورة روائح كريهة أو سامة القصد منها التخلص منه .. وفى الهلاوس اللمسية يشعر كأن أحداً يعبث باعضائه أو أن أجساماً مزروعة فى جسمه بفعل آخرين .. والهلاوس اللمسية نراها فى مدمنى « الكوكايين » الذين يشعرون كأن حيوانات صغيرة تزحف تحت جلودهم .

٣ - اضطراب الوجدان : Disturbance of Affect

يمكن لإنسان أن يرتكب أفظع الجرائم إذا كان وجدانه محترقاً .. يستطيع أن يحرق مدينة بأكملها .. يستطيع أن يقتل أمه وأباه .. بل يستطيع أن يذبح طفلاً ..

وهناك إنسان لا يستطيع أن يقتل نملة .. يحزن قلبه إذا رأى إنساناً يتألم .. يضعف للفقير والمريض والمحتاج .. يهب من وقته وماله وصحته لكل الناس .. ولا يمكن لحياة أن تعمر وأن تستمر إلا بهذا الضعف .. أقصد ضعف القلوب حين ترق وتتنازل وتتألم وتأتنس وتألف .. أى حين تتجاوب حناناً وحباً لمخلوقات الله وللكون كله .. وما أشقها وأتعسها حياة تحجرت فيها القلوب فلا تجزع لحرق النبات وسفك الدماء . وتلك مصيبة المصائب فى مرض الفصام ان يضطرب الوجدان .. وأقسى صور هذا الاضطراب « تبلد الوجدان » (Flat affect) .

لا يشعر تجاه أحد ولا ينفعل لموقف .. لا حزن ولا فرح لا تعاطف ولا جفوة ..

لا يهتز جزعاً لأعتى الرياح ولا يهتز نشوة لنسائم رقيقة ..

قد يشعر هو فى البداية أنه بدأ يفقد القدرة على الانفعال .. ويشعر الأهل والأصدقاء أنه صار بعيداً .. ويشعر الطبيب أن جداراً سميكاً يفصل بينه وبين هذا

المريض وتلك علامة تشخيصية . هذا الإنسان لا يتحمس لشيء .. لا يتحمس لنجاح ولا يألم لسقوط ولا يأبه بترق فى عمله .. يقتل لأسباب تافهة ... وتبيع جسدها لقروش قليلة ..

.. وفى الفصام تختل كل الموازين وتنفلت كل المعايير وتنقلب كل الأوضاع ويستعصى الفهم ، فترى المريض يشعر بابتهاج وسعادة لمصيبة فادحة أصابته ونراه حزيناً مكتئباً لخير كبير أصابه .. وذلك ما يعرف بعدم ملاءمة الشعور **Inappropriate affct** أو « عدم التناسب الأنفعالى » **Incogruity of affect** .

.. وفى تقديرى الشخصى ومن خلال معايشتى لمرض الفصام على مدى سنوات طويلة أرى أن هذا العرَض الأخير يعبر عن قمة المأساة فى مرض الفصام .. أو قمة المأساة ضمن المآسى التى يمكن أن يتعرض لها البشر فى حياتهم .. فهذا العرَض يلغى إنسانية الإنسان أى يصبح لا إنسان .. فالإنسان إحساس وشعور وعاطفة أى تعاطف وتسامح وتواضع وإيثار وحب وهو أيضاً حزن وألم ، وهو أيضاً ثورة وغضبة وعدم رضى .. وكل إنفعال لا بد أن يتلاءم مع الحدث فى وقت معين وزمان معين وتجاه إناس معينين .. بهذا يعطى الإنسان صفة الإنسانية .. أى أن هوية الإنسانية لا تعطى إلا لمن كانت له عواطف وكانت هذه العواطف ملائمة للأحداث .. وحين لا تكون هناك عواطف أو حين تكون هذه العواطف لا علاقة لها بالحدث فأى فرق بين الإنسان وبين الجماد ؟!.. المقارنة بالمخلوقات الأخرى هنا تكون ظالمة لهذه المخلوقات التى تشعر وتنفعل بشكل يتلاءم مع الاحداث التى تعرض لها .. وكيف تستمر حياة لبشر على الأرض بعواطف ميتة أو بعواطف متناقضة .. ولهذا فتلك الحالة تحرق صاحبها فى النهاية أو تحرق من حوله ويطفح بذلك ألم شديد على من يرقب هذا المشهد المأساوى ..

٤ – اضطراب السلوك : Behaviour disorder

سلوك الإنسان لا بد أن يكون مفهوماً فى ضوء عوامل كثيرة كالزمان والمكان والموقف أو الحدث وسن الإنسان ودرجة ثقافته وتعليمه .. والسلوك المضطرب هو ما لا يستطيع أن نفهمه فى ضوء العوامل السابقة أو ما لا نتوقعه .. بم نحكم مثلاً على

أستاذ جامعى يدخل المحاضرة بالبيجاما أو فتاة تذهب إلى الجامع بملابس السهرة أو طالب يدخن أثناء المحاضرة أو رجل قدم استقالته من عمله لأن مال الحكومة حرام-لأن مصدره أرباح البنوك رغم أن راتبه هو المصدر الوحيد الذى ينفق منه على أولاده ، أو الشاب الذى قرر أن يهجر الدراسة ويتفرغ فقط للعبادة ..

كلها أنماط من السلوك المضطرب الذى لا نستطيع أن نفهمه وكذلك لا نتوقعه ..

وقد يضطرب السلوك بشكل خطير فى صورة نوبات من الهياج أو الثورة بلا سبب وكذلك العدوان على الآخرين بلا مبرر أو مهاجمة السيدات فى الشارع أو التجرد من الملابس .. وقد يكون الإدمان أو السلوك الجنسى الشاذ من مظاهر الاضطراب السلوكى مع مرضى الفصام ..

٥ – اضطراب الإرادة : Disturbance of Volition

كل فعل .. وكل حركة .. وكل سلوك يحتاج لإرادة .. الإرادة هى القوة المحركة للإنسان نحو هدف معين والمثابرة حتى يتم تحقيقه أو انجازه .. وفقدان الإرادة معناه التوقف .. وشلل الإرادة هو أحد أعراض مرض الفصام .. قد يصل الأمر إلى حد عدم الاستحمام لشهور طويلة ، فحتى هذا الفعل البسيط يحتاج لإرادة .. ويفقد المريض أشياء كثيرة بسبب هذا العرض .. فيفصل من عمله لكثرة تغيبه .. ويفصل من جامعته لرسوبه المتكرر لعدم استذكاره .. وإذا سألته لماذا لا يفعل شيئاً فإنه يعطى إجابات واهية فارغة هشة تفتقد لأى معنى .. يصبح كالسيارة التى نفد وقودها فوقفت كالجثة الهامدة ، يفقد أشياء كثيرة فلا يألم ولا ينزعج . ويهجر الناس لأن استمرار العلاقات يعتمد على تلاقى الإرادات أو حتى تصارعها ..

.. وهناك أنواع متعددة من مرض الفصام منها :

- « الفصام البسيط » **Simple Schizophrenia**

ويطلق عليه هذا الأسم ، لأن أعراضه غير واضحة وتظهر ببطء شديد على

المريض ، ولا يمكن اكتشافها إلا بعد أن يتمكن المرض وتتدهور حالة المريض ، ولهذا يمكن اعتباره من أخطر أنواع الفصام ، وأبرز أعراضه « التبلد الانفعالى » والسلبية وفقدان الإرادة واضطراب شكل التفكير ، فيصبح المريض عاجزاً عن التفكير التجريدى وتكون أفكاره هشة وضعيفة المحتوى .. وترتفع نسبة حالات الفصام البسيط بين الطلبة الذين يرسبون لسنوات متعددة فى دراستهم وبين المساجين والعاملين فى الوظائف الدنيا ، وكذلك ينتشر بين الساقطات ..

- الفصام الخيلائى **Paranoia Schizophrenia**

والعرض الرئيسى فيه « هذاءات الاضطهاد » ، وهو عادة يبدأ بعد سن الخامسة والعشرين أو الثلاثين حيث تكون هذاءات الاضطهاد هى العرض الوحيد غالباً، ولا يوجد تدهور فى الشخصية ، ويظل المريض تحت تأثير هذه الهذاءات التى تسبب له مشاكل فى علاقاته .

- الفصام العقلى (فصام المراهقة) **Hebephrenic Schizophrenia**

ويصيب من هم فى سن المراهقة ، وفيه تظهر معظم أعراض مرض الفصام كالهلاوس والهذاءات واضطراب الإرادة والسلوك .. ونظراً لأنه يأتى فى سن مبكرة فإنه يسبب تدهوراً فى الشخصية ويصبح الشاب عاجزاً عن إستكمال دراسته ..

- « الفصام الكتاتونى » **Catatonic Schizophrenia**

وفيه يحدث اضطراب فى الحركة : فقد يمتنع المريض عن الحركة تماماً ويأخذ وضعاً ثابتاً يظل عليه لمدة ساعات طويلة ، وقد تتخلل هذا نوبات هياج شديدة ..

- الفصام الحاد **Acute Schizophrenia**

ويأتى فى صورة حادة مفاجئة ، وعادة ما يكون ذلك مصحوباً بهياج شديد ، ويصعب التحكم فى المريض فقد يؤذى نفسه وقد يعتدى على الآخرين ويكون ذلك

مصحوباً بهلاوس مستمرة أو هذاءات وعدم ترابط في الأفكار ، بل قد تهذي بكلام غير مفهوم لانعدام الترابط تماماً ..

- **الفصام المزمن Chronic Schizophrenia**

بعد مرور عامين كاملين مستمرين على أى نوع من أنواع الفصام يعرف بعد ذلك بالفصام المزمن .. والسمة الرئيسية فيه التدهور الواضح في الشخصية فتبدو ضحلة غير مترابطة ويكون قد فقد عمله أو فقد أسرته وبلا أصدقاء وبلا هدف ، أو معنى لحياته .. ولكنه مستمر يأكل ويشرب وينام ويدخن بشراهة ويشرب كميات كبيرة من الشاى أو القهوة وينام أغلب نهاره ويستيقظ معظم الليل .. أى حياة تلك ..؟ .. ولكنه المرض ..

- **الفصام الوجدانى Schio-affective disorder**

وفيه تجتمع أعراض الفصام مع أعراض الاكتئاب أو مع أعراض الهوس .. وهذا يجعلنا نتفاءل بالنسبة لمستقبل الحالة لأن وجود الاكتئاب أو وجود الهوس يعنى أن الوجدان ما زال سليماً وهذا يعكس قدراً كبيراً من تماسك الشخصية وإمكانية الشفاء دون تبقى أعراض .؟

المصير .. والعلاج ..

مصير مرض الفصام فى الوقت الحالى يختلف كلية عن مصير من كان عندهم مثل هذا المرض منذ ثلاثين عاماً ، بل يختلف إلى حد كبير عن الذين أصيبوا به منذ عشر سنوات ..

ففى كل دقيقة هناك بحث جديد وأفكار عن أنواع حديثة من العلاج .. ونسبة معقولة جداً تشفى ونسبة أخرى تبقى لديها بعض الأعراض ولكنها تستمر فى حياتها بصورة طبيعية : فى العمل والمنزل ومع الأصدقاء .. ومثل أى مرض آخر يصاب به الإنسان فإن بعض الحالات تصبح مزمنة .. التشخيص المبكر والعلاج المنتظم لمدة عامين متصلين دون إنقطاع يضمنان الشفاء – بإذن الله – لكثير من الحالات ..

تعاون الأسرة ضرورى للغاية .. وأول شيء نطلبه منهم مراقبة انتظام العلاج .. وأفضل أن يتولى أحد منهم اعطاء العلاج بنفسه للمريض .. والاشكال الحديثة للعلاج توفر كثيراً من متاعب الأسرة .. فهناك حقنة واحدة طويلة المدى تعطى كل اسبوعين .. وهناك أقراص تعطى مرة واحدة يومياً ..

ولا بديل للعلاج الكيميائى – أى العلاج بالعقاقير – فالعلاج النفسى لا يجدى مطلقاً مع حالات الفصام ..

والمطمئنات الكبرى هى العلاج الأساسى **Major Tranquillizers** ومنها اشتق العديد من الأنوع مثل : « ستلازين – تريلافون – موديتن – نيورازين أو بروماسيد – ميليريل » ، « هالو بريدول » (سافينيز) .

وهذه الأقراص لها بعض الأعراض الجانبية التى يمكن التخلص منها بتناول أقراص أخرى مثل « الباركينول » و « الكوجنتين » .

والحقن طويلة المدى لها فاعلية كبيرة مثل حقن « الموديكيت – الفلونكسول – الايماب – الهالدول » ..

وفائدة الجلسات الكهربائية فى حالات الفصام أقل بكثير عن الاكتئاب .. فقط نعطى الجلسات الكهربائية لمريض الفصام فى حالات الهياج والثورة والهذاءات المستمرة التى لا تستجيب للعلاج بالعقاقير ..

ولا بد أن نحيط المريض بالرعاية الاجتماعية مثل : الاهتمام والحب ودفعه للعمل ومساندته والاشراف الدقيق على علاجه .. والصبر لأن العلاج يستغرق وقتاً طويلاً .. ولا شك أن المحيطين بالمريض يعانون أكثر منه ولكن لكل إنسان قدره فى الحياة ونصيبه من المعاناة ، والصبر هو الذى يجعلنا نتجرع الحياة رغم ما بها أحياناً من بعض المرارة من أجل أحباء أو أعزاء لنا أصابهم المرض ..

الأمراض العقلية العضوية

Organic Psychosis

تعصف الظروف بالنفس البشرية فتقلق وتكتئب وتخاف .. وأيضاً يعصف بها الجسد .. فأى اضطراب فى الجسم تكون له أثاره على النفس .. إذن الاعتداء على النفس قد يأتيها من الخارج أو الداخل .. فتضطرب النفس إذا تعرّض الإنسان لمشكلة أو فشل وتضطرب أيضاً إذا حدثت مشكلة أو فشل للكبد أو الكلى أو الغدد الصماء ..

والمقصود بالأمراض العقلية العضوية « الذهان العضوى » هو الاضطرابات العقلية التى تنشأ عن إصابة أو خلل أو فشل فى أحد أجهزة الجسم كالكبد أو الكلى أو الغدد الصماء أو القلب أو المخ ... إلى آخر قائمة طويلة من الاضطرابات الجسدية التى تسبب أعراضاً عقلية .

والموقف هنا يفضح حقيقة هامة وخطيرة وهى أن آلام الجسد هى آلام للنفس أيضاً .. وفى موقع آخر (الأمراض النفسجسمية) سنقول : إن آلام النفس هى آلام للجسد .. ألا يجعلنا هذا نتشكك فى أنهما - أى النفس والجسد - شيئان منفصلان ..

الإنسان كيان واحد لا يمكن تجزئته أنت هو أنت بنفسك وجسدك .. بعواطفك وغرائزك .. بافكارك ودمائك .. أى أنت هو أنت بروحك وترابك .. فالروح هى

التراب الذى يتحرك بإرادة عليا .. تراب تشكل على هيئة جسد بشرى يتألم ويسعد ويفكر ويتحرك .. فهذا التراب هو الذى يفكر ويشعر .. هذا التراب إذا أصابته مشكلة اضطراب التفكير واضطرب الشعور واضطرب الإدراك ، أى اضطربت كل مكونات النفس .. إذن هذه النفس تدخل فى مكونات هذا التراب .. هذا التراب يحتوى على ما يسمى بالنفس . يحتويها فى صورة هورمونات وإنزيمات مواد عصبية وصل مجموعها حتى الآن ١٨٤ مادة تجرى بين خلايا المخ وتشكل التفكير والوجدان وتتحكم فى الإرادة والسلوك وتحدد الإدراك ..

إذن أنت كيان واحد لا يمكن تجزئته .. جسدك هو نفسك .. ونفسك هى جسدك .. فالكل فى واحد .. والدليل أن عجز الغدة الدرقية عن إفراز هورمون الثيروكسين يؤدى إلى الاكتئاب ، وفشل الكبد فى تخليص الجسم من السموم يؤدى إلى الهلاوس ووجود ورم فى الفص الجبهى للمخ يؤدى إلى فقدان الإرداة وانحراف السلوك ، وتصلب الشرايين يؤدى إلى الشك والشعور بالاضطهاد ..

.. فى « الذهان العضوى » لا بد أن يكون المرض الجسدى واضحاً وملموساً .. أى نراه أو نلمسه وتظهر علاماته على الجسد وتظهر آثاره فى الأشعة أو فى تحليلات المعمل .. هذا بخلاف « الذهان الوظيفى » الذى يكون فيه الجسد ظاهرياً سليماً تماماً . فى « الذهان الوظيفى » يكون الخلل على مستوى المواد الكيميائية داخل وخارج المخ ..

.. وفى « الذهان العضوى » لا تظهر الأعراض العقلية إلا حين يصل المرض العضوى إلى مرحلة حرجة .. هنا يستعين الجسد بالنفس لتشاركه إعلان درجة التدهور وكأن الإنسان يصرخ بكله .. أى يصرخ بكل ما لديه من إمكانات التعبير .. أى يصرخ بأعلى صوته معلناً حالة شديدة من التدهور : أى أن الكبد قد فشل تماماً أو أن شرايين المخ عاجزة عن توصيل « الأكسجين » أو أن المخ قد أصابه ورم يهدد نسيجه أو أن حرارة الجسد قد ارتفعت إلى حد لا تحتمله الخلايا ولا تستطيع فى وهجه أن تؤدى وظائفها الطبيعية ..

.. ونتساءل إلى أى مدى يختلف الذهان العضوى عن الذهان الوظيفى ..؟

فى البداية نقول : إنهما يتفقان فى اضطراب الوظائف العقلية كالتفكير والادراك والسلوك والوجدان والإرادة ..

ولكن فى الذهان العضوى يصاب الإنسان أيضاً بتشوش فى الوعى ..

وتشوش الوعى معناه إنخفاض درجة إنتباه المريض للمؤثرات من حوله وعدم قدرته على الاستيعاب السليم والكامل لما يحيط به .. وهذا يعنى عدم قدرته على التركيز وعدم قدرته على الاحتفاظ فى ذاكرته بالأحداث التى تمر به فى هذا الوقت .. وقد يصل الأمر إلى عجز كامل عن التعرف على المكان الذى هو فيه فى تلك اللحظة وأيضاً عدم قدرته على التعرف على الزمان .. وقد يتدهور الأمر أكثر فلا يتعرف على الأشخاص المحيطين به رغم معرفته السابقة بهم ..

والتشوش الشديد فى الوعى يعرف – إكلينيكيا – باسم « الهذيان الحاد » Acute Delirium .

وهى حالة نراها فى حالات الهبوط الحاد للكبد أو الكلى أو انخفاض السكر فى الدم أو الارتفاع الشديد فى درجة الحرارة أو التسمم لأى سبب خاصة العقاقير أو الخمور أو النقص الشديد للأكسجين .. يبدو المريض فى حالة من القلق والتوتر وكثرة الحركة غير الهادفة ، والهذيان بكلام غير مفهوم وعدم القدرة على تذكر أى شىء حتى إن كان قد حدث من دقيقة واحدة والفشل التام فى التعرف على الزمان والمكان والأشخاص المحيطين به مع الاحساس بالخوف الشديد خاصة فى وجود الهلاوس البصرية وتكون فى شكل حيوانات مفزعة تهاجم المريض وأحياناً تصاحب الحالة ضلالات فيشعر المريض أن الطبيب المعالج يحاول أن يقتله أو أن الممرضة تريد إيذاءه .

وهناك :

« الهذيان تحت الحاد » Subacute delirious State

وله نفس أعراض الهذيان الحاد ولكن الأعراض تختفى بعض الوقت فيعود المريض أثناءها لحالته الطبيعية تماماً وقد نسى كل شىء عن فترة الهذيان ، ولكن بعد فترة تعاوده

مرة أخرى حالة الهذيان .. وهذا ما نراه غالباً فى حالات تصلب الشرايين المتقدمة حيث يصاب المريض بحالة الهذيان مساءً ثم يعدو إلى حالته الطبيعية فى الصباح ..

.. واضطرابات الذاكرة : Dysmnesic Syndrome

من العلامات البارزة « للذهان العضوى » خاصة إذا أتى بصورة بطيئة وتدريجية كما فى حالات العَته .. وعادة ما يفقد المريض الذاكرة للأحداث القريبة Recent Memory ولكنه يتذكر أشياء بتفاصيلها حدثت من عشرات السنين Remote Memory ..

الأسباب المختلفة « للذهان العضوى » :

١ - اضطرابات الغدد الصماء :

إذا نظرنا للإنسان نظرة مادية مجردة مجحفة عاطفياً ومنصفة علمياً فهو مجموعة من المعادلات الكيميائية .. والهورمونات هى عصب هذه المعادلات ، وهى عصب النمو ، وهى عصب كل النشاطات الحيوية ، وهى عصب البناء والهدم .. وهى أيضاً مسئولة عن انضباط العمليات العقلية وسيرها فى المسار الصحيح ..

وبلا استثناء فإن أى خلل يصيب أيًا من الغدد الصماء تكون له أعراضه النفسية أو العقلية ..

.. وأبرز الأمثلة وأوضحها الغدة الدرقية Thyroid Gland .. ومرض « المكسديما » Myxedema وهو نقص فى إفراز هورمون « الثيروكسين » .. ويصيب النساء بمعدلات أكبر من الرجال ٥ : ١ .. ويأتى فى حوالى سن الثلاثين .. وفى ٥٠٪ من الحالات يبدأ بأعراض نفسية عقلية .. يبدأ بالخمول وسرعة الإحساس بالتعب والكسل وبطء الحركة وبطء التفكير وعدم القدرة على التركيز والنسيان وتظهر أعراض الاكتئاب بعد ذلك .. وعلى الطبيب هنا أن يتوخى الحذر ، ويفحص بدقة

حالات الاكتئاب فى النساء فى هذه السن خاصة إذا كانت مصحوبة ببعض الأعراض العضوية كاضطراب الدورة الشهرية وسقوط الشعر وزيادة الوزن وخشونة الجلد وتورم الوجه .. وقياس نسبة الهورمون فى الدم هو خير مؤشر وأنصع دليل ..

ثمة أعراض عقلية أخرى أكثر خطورة وهى ظهور « هذاءات الاضطهاد » كأننا أمام حالة فصام فتشكو المريضة من الاضطهاد والمراقبة ومحاولات النيل منها ..

وزيادة الإفراز تكون مصحوبة بأعراض نفسية واضحة .. « ففى مرض جريف » Grave's Disease ويعرف أيضاً باسم تسمم الغدة الدرقية تظهر أعراض القلق الشديد على المريضة فتكون متوترة ، عصبية ، تثور لاتفه الأسباب وترتعش أطرافها ويغزر عرقها وينخفض وزنها ويضطرب طمثها وتجحظ عيناها .. وقد تصاب بنوبة هوس أو باكتئاب شديد .. وهنا تقع مسئولية كبيرة على عاتق الطبيب المعالج فى اكتشاف أن هذه الأعراض النفسية أو العقلية سببها زيادة افراز هورمون الغدة الدرقية ..

وكما أوضحت فإن أيًّا من الأعراض النفسية أو العقلية قد تظهر مع أية من اضطرابات ا لغدد الصماء مثل :

اضطرابات الغدد جارات الدرقية Parathyroid glands

واضطرابات الغدة فوق الكلوية Suprarenal gland

والغدة النخامية Pituitary gland

والغدة الجنسية Sex gland

٢ – أمراض المخ ..

- أبرزها تصلب الشرايين Athero Sclerosis

وهى فى الرجال أكثر منها فى النساء .. وبعد سن الستين أو أكثر من ذلك .. تظهر

الأعراض تدريجياً وفى البداية ينسى الأحداث القريبة ، وتظل ذاكرته سليمة تماماً بالنسبة للأحداث البعيدة جداً .. ويصبح سريع الانفعال ويتقلب من حال لحال فى خلال دقائق أو ثوان فيبكى بمجرد أن يذكروا أمامه ابنه الذى سافر للخارج للحصول على درجة علمية ثم يضحك بعدها بسعادة حينما يحدثونه عن المكانة المرموقة التى سيحصل عليها ابنه بعد عودته من الخارج ..

وتطرأ تغيرات على الشخصية كالعَته وعدم تقبل رأى الآخرين والرغبة فى التحكم والسيطرة على كل شىء والبخل الشديد (بخلاف طبيعته الأصلية) .. وعدم المرونة ... والأكثر خطورة الشك فى أقرب الناس إليه : أى الشك فى إخلاصهم وأمانتهم كأن يعتقد أن أولاده يسرقونه أو أنهم يريدون التخلص منه ليرثوه .. وقد يتطور الأمر إلى ضلالات فيعتقد أن زوجته التى تعدت الستين تخونه مع ابن الجيران الذى يبلغ من العمر عشرين عاماً أو مع الشغال ، فيغلق الأبواب عليها ويمنعها من الخروج ويبدأ فى معاملتها بقسوة وقد يعتدى عليها بالضرب بالرغم من أنه لم يضربها منذ زواجهما ..

والأعراض العقلية التى تظهر مع تصلب الشرايين لا تكون ثابتة .. أى أنها تتغير حسب الظروف والاجهادات كما تتغير حسب ساعات النهار فتسوء الحالة مساءً وتتحسن نسبياً نهاراً ..

- ثم يأتى العَته **Dementia** كأحد أمراض التشيخوخة التى تصاحبها أعراض عقلية واضحة أبرزها النسيان واضطراب السلوك وفقد المهارات السابقة وقد تظهر أعراض القلق أو الاكتئاب أو ضلالات الاضطهاد .. والعته هو تآكل وضمور خلايا المخ بدون سبب معروف ، وبعض الحالات قد تظهر فى وقت مبكر من العمر أى ما بين الخمسين والستين **Presenile dementia** وبعض الحالات تظهر فى مرحلة متأخرة وتعرف باسم عَته الشيخوخة **Senile dementia** .

- التهابات المخ والتهابات الأغشية المحيطة بالمخ : **Encephalitis - Meningitis** فى المرحلة الحادة تكون مصحوبة بتشوش فى الوعى وبعد ذلك تظهر أعراض عقلية أخرى أبرزها اضطراب السلوك أو التخلف العقلى ..

• ارتجاج المخ : Brain Concusion ويحدث بعد الاصابات المخية كما فى حوادث السيارات وهى تؤثر على الذاكرة ، والذكاء ، والسلوك بصورة مؤقتة تتحسن تدريجياً مع الوقت ولكنها قد تظل ملازمة للمريض لفترة طويلة ..

• الصرع : Epilepsy وهو خلل كيميائى كهربائى « كهروكيميائى » فى المخ يسبب أعراضاً تأتى فى صورة نوبات على هيئة تشنج أو فقدان الوعى أو اضطراب الذاكرة أو أعراض نفسيَة .. ونسبة قليلة من حالات الصرع تصاب باضرابات عقلية بعد سنوات طويلة من النوبات الصرعية ..

هناك نوع من الصرع يعرف باسم الصرع النفسى الحركى Psychomotor Epilepsy تأتى فيه النوبة فى صورة اضطراب الوعى مع ثورة وهياج وصراخ وعدوان وقد يسبق ذلك هلاوس سمعية أو بصرية والأكثر هلاوس شمية فيشعر المريض أنه يشم رائحة غريبة وأيضاً هلاوس تذوقية فيشعر بطعم غريب على لسانه .. يعقب ذلك حركات لا إرادية بشفتيه وكأنما يتذوق أو يبلع شيئاً ويعقب ذلك الهياج .. وبعد أن يعود المريض لحالته الطبيعية ينسى كل الاحداث المرتبطة بفترة النوبة وبالطبع يأسف لما صدر منه أثناء النوبة ..

• أورام المخ Brain tumors

والأعراض العقلية مرتبطة بمكان الورم وليس بنوعه .. وأورام الفص الجبهى Frontal lobe تكون مصاحبة بالأعراض العقلية منذ البداية ، وأبرزها اضطراب السلوك فيفقد المريض الكياسة والذوق ولا يراعى التقاليد فيلقى بنكات جنسية أمام النساء ويغازل كل امرأة يراها وكأنه مصاب بحالة هوس وقد يحدث العكس فيصاب بالخمول وعدم الحركة وفقدان الإرادة والتبلد ويبدو كأنه مكتئب .. وأورام الفص الصدغى كذلك Temporal lobe قد تصاحبها أعراض عقلية مثل التى تصاحب الصرع النفسى الحركى .. فهذا النوع من الصرع يحدث نتيجة لوجود بؤرة فى الفص الصدغى ..

٣ – نقص الفيتامينات :

مثل ف ب١ ، ف ب٢ وحمض النيكوتنيك تسبب أعراض القلق والاكتئاب وضعف الذاكرة ، ومن الأمراض المنتشرة فى مصر مرض البلاجرا **Pellagra** ويحدث نتيجة لنقص حمض النيكوتنيك **Nicotinic Acid** وأعراضه اضطرابات جلدية واضطراب فى الجهاز الهضمى وأعراض عقلية كضعف الذاكرة والعته والاكتئاب .. وبعض هؤلاء ينتحرون نتيجة للمعاناة من الاكتئاب الذى سرعان ما يختفى بتعاطى الفيتامينات الناقصة ..

٤ – الهبوط المفاجى فى وظائف بعض أعضاء الجسم مثل الكبد والكلى :
Liver failure - Renal failure

يسبب هذا الهبوط فى أحيان كثيرة أعراضاً عقلية شديدة تتميز أساساً بتشوش الوعى مع وجود الهلاوس والهذاءات ..

ومرضى السكر يتعرضون أحياناً لهذه الاضطرابات إذا أهملوا تنظيم علاجهم .. فالهبوط فى نسبة السكر بالدم (نتيجة لتعاطى جرعة زائدة من الدواء) يصاحبه قلق شديد وتوتر وعدم الاستقرار الحركى وقد يحدث هياج أو ثورة ويصاحب ذلك عرق غزير .. وأيضاً ارتفاع نسبة السكر يصاحبه تشوش فى الوعى وهلاوس وهياج ثم غيبوبة ..

٥ – الحميات :

وهى التى تسبب ، ارتفاعاً شديداً فى درجة الحرارة ، واضطراب المعادن فى الجسم نتيجة للقىء الشديد أو الإسهال المستمر (الصوديم – البوتاسيوم – الماء) أو حالات التسمم بالرصاص أو أول أكسيد الكربون .. كل تلك الحالات يصاحبها اضطرابات فى الوعى فى الحالات الحادة وأعراض نفسية أو عقلية مزمنة بعد ذلك قد تؤثر على المريض لوقت طويل خاصة إذا صاحب ذلك تأثير مباشر على خلايا المخ كما فى حالات الإدمان الكحلى ..

والطبيب النفسى يجب أن يتمتع بدرجة عالية من الشك وعدم حسن النية وعدم أخذ الأمور ببساطة .. هذا يجعله يفحص حالته بعناية فائقة .. فتلك الأعراض العقلية أو النفسية التى أمامه قد يختفى وراءها مرض عضوى يمكن الكشف عنه بالبحث عن علاقات المرض واجراء الأشعة اللازمة على المخ وأجراء الفحوص المعملية الضرورية ..

والعلاج فى هذه الحالة يكون بمهاجمة المرض العضوى الذى تسبب فى الأعراض العقلية . أما الحالة العقلية فيمكن علاجها ببعض العقاقير المضادة للمرض العقلى ، والله هو الحافظ من كل سوء وهو الشافى من كل مرض ..

الأمراض النفسية والعقلية المصاحبة للحمل والولادة والرضاعة

.. قد يعجب الإنسان كيف تعانى إنسانة نفسياً أو عقلياً لأنها أقدمت على أمر طبيعى ومشروع وضرورى لها وللحياة وهو أن تحمل ، والنهاية الطبيعية للحمل أن تلد ، وواجبها بعد ذلك أن ترضع وليدها ؟ أى ذنب اقترفته تلك المرأة التى أرادت أن تؤدى دورها فى الحياة وهى أن تكون مصدراً للحياة وضماناً لاستمرارها ؟

.. قد يكون مفهوماً ومقبولاً لعقل الإنسان أن إنساناً يعانى نفسياً أو عقلياً لأنه يشرب الخمر بغزارة أو لأنه تعرض لاصابة مخية أو لحدوث خلل فى أحد الهورمونات العصبية ولكنه ليس مفهوماً ولا مقبولاً أن يعانى البعض حين يؤدون دورهم الطبيعى فى الحياة والذى بدونه لن تكون هناك حياة ..

إذن ما المعنى من هذا ؟ ما معنى أن تصاب امرأة باكتئاب بسبب الحمل أو بالهلاوس والهياج بسبب الولادة ؟

حقيقية أن الحمل والولادة والرضاعة أمور طبيعية ومشروعة ومطلوبة فى حياة الإنسان .. ولكن الأمر ليس أمراً عادياً ، ولكنه أمر خطير وجليل .. ليس كمثل أن تمد يدك لتأكل أو تفتح فمك لتشرب أو تفرد جسدك لتنام .. إن الأمر هنا يتعلق بتخليق إنسان جديد داخل رحم امرأة .. كل اجهزة الجسم تساهم فى هذا الحدث العظيم .. وأيضاً كل الوظائف العقلية الظاهرة والباطنة تكون مواكبة لتطورات عملية

التخليق .. وهذا الجسد الذى يتخلق يأخذ عناصر تكوينه من جسد هذه المرأة من دمها وأكسجينها ومعادنها وأملاحها وفيتاميناتها .. عملية تسخير كاملة لامكانات جسد الأم من أجل تلك النطفة حتى تصير علقة ثم عظاماً ولحماً ثم إنساناً كامل التكوين يخرج إلى الحياة مصحوباً بالألم .. وكأن جسد الأم يتألم للفراق .. هذه الرحلة التى تستغرق تسعة شهور تصاحبها معاناة محتملة جسدية ونفسية .. فقد تشعر الأم بتقلبات فى مزاجها مع بعض العصبية والإحساس بالاكتئاب الذى يتبدى فى صورة فتور عام .. ولكن الضريبة قد تكون أكبر من ذلك .. وكل شىء ثمين لا بد أن تدفع عنه ضريبة .. أى قد تعانى المرأة من اضطراب نفسى أو عقلى واضح أثناء فترة الحمل .. فالحمل إجهاد .. نفسى وجسدى .. وقد تكون هى – أى الأم – لديها الاستعداد للإصابة بالمرض النفسى أو العقلى .. ويجىء الحمل كأى نوع من الإجهادات ليفجر هذا الاستعداد .. فتصاب بالكآبة الشديدة أو بالقلق الحاد المستمر أو قد تعاودها مخاوف قديمة أو تهاجمها وساوس تكون قد نسيتها .. وهنا لا بد من العلاج .. ولا نستطيع أن نصف عقاقير فى الثلاثة اشهر الأولى من الحمل خوفاً على الجنين ومنعاً لاحتمالات ضئيلة من حدوث تشوهات .. ولكن بعد الشهر الثالث نستطيع أن نعطى هذه العقاقير .. والجلسات الكهربائية ممكنة فى أية فترة من فترات الحمل ولا ضرر منها .. ولا داعى للتسرع بالإجهاض إلا إذا كانت الحالة شديدة وتهدد السلامة العقلية للمرأة أو تسبب لها معاناة شديدة لا تحتمل .. ويجب ألا ننسى أيضاً أن للإجهاض مساوئه أحياناً فقد يضاعف من إحساس المرأة بالكآبة من تأنيب الضمير والشعور بالذنب ..

.. ثمة عوامل أخرى تسهم فى حدوث اكتئاب الحمل حين يكون الحمل مرفوضاً من زوج لا تحبه أو لأنه سيعوق دراستها أو عملها أو أن لديها الكفاية من الأطفال أو لسوء الحالة الاقتصادية أو لوجود مشاكل مع زوجها تهدد بفشل الزواج .. كل هذا يؤدى إلى الرفض الشعورى واللاشعورى للحمل ومن ثم الإصابة بالاكتئاب ..

ذهان الولادة : Puerpural Psychosis

يتجمع اللبن تلقائياً وبفعل هورمونات الغدة النخامية فى ثدى الأم بمجرد أن يخرج وليدها للدنيا ، ويتجمع أيضاً الحب فى قلبها تلقائياً وبفعل توجيه من الخالق لترعى

وتحافظ على هذا الإنسان الجديد .. ولذلك فبالرغم من معاناتها وتعبها إلا أنها تشعر بالرضى والفرحة ..

.. ولكن من بين كل ألف سيدة توجد سيدة يداهمها الحزن بعد الولادة ، فتدمع عيناها وتشعر بجمود عواطفها نحو وليدها وتأرق وتفقد شهيتها للطعام وقد تتمنى الخلاص من الحياة ..

وقد تشتد الحالة أكثر فتمتنع عن الطعام وقد تحاول أن تنهى حياتها فعلاً ، وقبل أن تفعل ذلك ، تنهى حياة طفلها حتى تنقذه من الحياة التى تراها فى هذه اللحظة معذبة ومؤلمة ..

.. وقد تأتى الحالة فى صورة هذيان وثورة ..

.. وقد تأتى فى صورة قريبة من مرض الفصام فتصاب بالهلاوس والهذاءات ..

.. وأغلب الحالات تكون مزيجاً من أعراض الفصام وأعراض الاكتئاب ..

وتتدهور الحالة الصحية للأم ، وبذلك تحتاج هى ووليدها لرعاية مكثفة تبدأ بأن نبعدها عن الطفل ، ثم نهتم بنومها وطعامها وتدعيمها بالفتيامينات ثم اعطاء مضادات الاكتئاب أو مضادات الفصام أو كلاهما .. والجلسات الكهربائية مفيدة جداً فى حالات ذهان الولادة .. ويجب أن يستمر العلاج مدة كافية حتى لا تتعرض الأم لانتكاسة ..

.. وإذا كان لديها طفلان أو أكثر فيجب أن نبحث لها عن وسيلة آمنة لمنع أى حمل فى المستقبل .. وإذا كان لديها طفل واحد فيجب أن تمتنع عن الحمل حوالى عامين .. فهناك احتمال لانتكاسة فى الولادة القادمة خاصة إذا كان لديها الاستعداد منذ البداية للإصابة بالمرض العقلى ..

وإذا حدث أن حملت بعد شفائها فإن قرار الإجهاض تدخل فيه عوامل كثيرة أهمها وأولها الصحة العقلية للأم واحتمال إصابتها بنكسة ومدى تأثير هذه النكسة على عقلها فى المستقبل ..

.. وفى بعض الأحيان ينصح الطبيب النفسى بإجراء عملية لعقم هذه السيدة Steralization إذا كانت قد تعرضت أكثر من مرة « لذهان الولادة » ، ولديها الاستعداد للإصابة بالمرض العقلى خاصة أن تعرضها لإصابة ثالثة قد تترك آثاراً عقلية دائمة ..

وسبحان الذى جعل المعاناة تخرج من قلب السرور وجعل السرور يخرج من قلب المعاناة ..

الأمراض النفسجسمية

Psycho-Somatic diseases

هو طريق كتب على الإنسان أن يمضى فيه .. وعند نقطة معينة من الطريق ينتهى دوره هو ، بينما تكمل مجاميع البشر المضى .. والنهاية عادة ما يكون لها سبب : من مرض ، أو شيخوخة ، حادث .. والمرض إنذار وتهديد .. وأعراضه ألم أو عجز أو كلاهما .. ولكل مرض سبب .. وواجب الأطباء البحث عن أسباب المرض .. وإذا عرفت السبب أمكن التوصل للعلاج .. وحتى الآن هناك أمراض لا نعرف أسبابها ولذلك لا علاج لها .. أى لا علاج لاقتلاع جذورها والقضاء عليها ولكن توجد علاجات للتخفيف من حدة أعراضها .. أى علاج الأعراض وليس الأسباب ..

ونحو أسباب الأمراض بشكل عام تنحصر فى الآتى : العدوى بالبكتريا الضارة أو الفيروسات .. إصابات تنجم عن حوادث تسبب كسوراً أو تهتكاً فى العضلات والأوعية الدموية .. نقص فى العناصر الرئيسية كالفيتامينات والأملاح – ثم هناك الأمراض الوراثية وأيضاً الأمراض الخلقية .. وأيضاً أمراض نقص المناعة ..

هذا يعنى أن هناك عوامل أو أسباباً عضوية تؤدى بشكل مباشر لحدوث المرض وظهور أعراضه ..

.. حار العلماء فى مجموعة من الأمراض لا يوجد لها سبب مادى مباشر ولكنها ترتبط بتعرض الإنسان لأزمة نفسية حادة أو لمتاعب نفسية مزمنة .. كيف .. ؟

كيف يسبب الانفعال الحاد أو الانفعال المستمر تهتكاً فى جدار الأمعاء أو المعدة أو زيادة فى هورمون الغدة الدرقية أو عجزاً فى إفراز الانسولين من البنكرياس أو تمدداً فى شرايين الجبهة مع حدوث صداع نصفى مؤلم أو .. أو .. إلى آخر قائمة طويلة من الأمراض تعرف باسم الأمراض النفسجسمية ..

لنجيب عن ذلك يجب أن نتعرف على مكان هام فى المخ يعرف باسم « المهاد التحتانى » أو « الهيبوثلاوس » Hypothalamus ..

إنه مركز الانفعال أو هو متصل بدائرة تشريحية فسيولوجية هامة فى المخ تسمى « الجهاز الطرفى » Limbic System وهذا الجهاز هو فى الحقيقة يمثل النفس Psyche .. فالنفس ممثلة فى هذا الجهاز أو الجهاز يكون محتويات النفس من تفكير وإدراك وانفعال وسلوك .. « والهيبوثلاموس » هو جهاز استقبال وإرسال .. يستقبل الشحنات الانفعالية من النفس (من الجهاز الطرفى) ثم يرسلها إلى أجهزة الجسم المختلفة لتعبر عنها (كل بطريقتها) ..

وعملية الإرسال هذه تتم من خلال أسلاك الجهاز العصبى اللاإرادى Autonomic Nervous System بفرعيه : السيمبثاوى والجارسيمبثاوى .. فالانفعال هو شعور داخلى (فرح – حزن – غضب – ألم) وأيضاً يتم التعبير عنه من خلال حركات غاضبة للمعدة والأمعاء والشرايين والهورمونات وأجهزة المناعة ..

.. ولكل إنسان درجة أو نقطة احتمال فوقها أو بعدها يحدث شرخاً فى العضو الذى تحمل العبء الأكبر فى التعبير عن الانفعال .. وكأنه صمام الأمان الذى يجب أن ينفتح حتى لا ينفجر الإنسان كله .. إنه الشرخ الذى يسمح بتسريب الغضب أو الحزن فتتخفف النفس من أحمالها وصراعاتها ويتخفف الجسم من أثقاله التى حقنها له الهيبوثلاموس ..

فيئن الإنسان من مفاصله المنتفخة أو من جلده الملتهب أو من أمعائه المجروحة بينما هو فى الحقيقة يئن من نفسه المكظومة الحزينة ، وكأن الجسم يردد صدى النفس ..

.. الكوارث المفاجئة غير المتوقعة والتى لم يتهيأ الإنسان لمواجهتها تسبب زيادة

مفاجئة فى هورمون الغدة الدرقية أو نقصاً مفاجئاً فى الأنسولين أو التهاباً حاداً فى كل الجلد .. ومعروف أن تسمم الغدة الدرقية والسكر من الأمراض التى قد تأتى بشكل مفاجىء ..

.. والهموم المزمنة والمشاكل التى ليس لها حل والضغوط التى تثقل كاهل الإنسان والصراعات التى لا مهرب منها .. كل ذلك يؤدى إلى قرحة المعدة والاثنى عشر والصداع النصفى وارتفاع ضغط الدم واضطرابات الدورة الشهرية ..

س : ولكن لماذا يصاب إنسان بهذه النوعية من الأمراض ولا يصاب إنسان آخر بالرغم من أن كليهما قد تعرض أو يتعرض لنفس المتاعب النفسية ..؟

ج : إنه الاستعداد أو التكوين الخاص .. هناك إنسان مهيأ للإصابة بالمرض العضوى نتيجة للضغط النفسى ..

س : ولماذا عضو معين بالذات .. لماذا يصاب إنسان فى قلبه وآخر فى مفاصله وثالث فى أمعائه ..؟

ج : هناك عضو ضعيف فى كل منا ، عضو يتأثر أكثر ، عضو تجد « النفس » فيه متنفسها فترسل همومها عليه لكى يحملها هو عنها ويعانى ويتكسر .

ونسمع عن إنسان أصيب بجلطة فى شرايين القلب أو المخ بعد تعرضه لأزمة نفسية ولم يكن معروفاً لدى الأطباء مدى التأثير الفسيولوجى للصدمات النفسية .. ولكن توصل العلماء حديثاً إلى أن الاضطرابات النفسية تؤدى إلى زيادة إفراز « الادرينالين والنور أدرينالين » من الغدة فوق الكلوية .. وهذه المواد تزيد من سرعة تجلط الدم نتيجة لتأثيرها المباشر على الصفائح الدموية التى تتلاصق مع بعضها البعض وتسبب الجلطة ..

.. والإنسان فى مواقف الانفعال والغضب يرتفع لديه ضغط الدم ويرتفع معدل النبض ويعود إلى حالته الطبيعية إذا ما هدأ انفعاله ، ولكن مع استمرار الانفعال ومع استمرار القلق فإن تغيراً يحدث فى الأوعية الدموية ، مما يؤدى إلى ارتفاع دائم فى ضغط الدم .. .

.. والانفعال يزيد من حركة المعدة والأمعاء ، ويزيد من إفراز حامض الهيدروكلوريك ، وهذا له تأثير ضار على جدار المعدة والأمعاء ، ويصبح سبباً مباشراً لقرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر ..

.. ومن أكثر أنواع الصداع انتشاراً الصداع النصفى Migraine ، ومعروف أن هذا النوع من الصداع يصيب نوعية معينة من الناس الذين يتسمون بالقلق والتوتر والاجتهاد والوسوسة والضمير المتيقظ والطموح والفناء فى العمل ، ولهذا فهم معرضون أكثر من غيرهم للتوتر والقلق والانفعال ، وهذا يؤدى إلى اضطراب فى تمدد الشرايين الذى هو السبب المباشر فى الصداع النصفى .. ويلاحظ هؤلاء الناس أنهم يتعرضون لنوبات الصداع حينما يتعرضون لأزمات نفسية أو مواقف تستعدى التحفز والقلق ..

.. وأطباء الأمراض الجلدية يعرفون أن أمراضاً مثل البهاق والصدفية وسقوط الشعر والأرتكاريا تظهر مباشرة بعد صدمة نفسية ، وأن أعراضها تزداد أو تنقص على حسب الحالة النفسية للمريض .. واضطرابات الدورة الشهرية والمعاناة الجنسية عند المرأة لها اتصال مباشر بالحياة الانفعالية لها .. وكذلك الأمر عند الرجل فيما يتعلق بقدراته الجنسية ..

وهذا يقودنا إلى الآتى :

- إن الطبيب العضوى يجب أن يكون مدركاً لأهمية العوامل النفسية كأسباب لبعض الأمراض العضوية ..
- إن العلاج العضوى لا يكفى فقط فى مثل هذه الحالات .. بل لا بد أن يواكبه العلاج النفسى ..
- إنه ليس فقط « العقل السليم فى الجسم السليم » وإنما أيضاً « الجسم السليم فى العقل السليم » ..

اضطرابات الشخصية

Personality Disorders

.. أحياناً نصف إنساناً بقولنا : إنه طويل أو قصير .. أو بدين أو نحيل .. أو أصفر الشعر أو أخضر العينين ..

– أى أننا نستعين بصفة جسدية واضحة تميزه هو على وجه خاص ..

.. وأحياناً نصف إنساناً بقولنا : إنه كريم أو بخيل .. أو هادىء أو عصبى .. أو خجول أو جرىء .. أو طيب أو شرير ..

– أى أننا نستعين بصفة تميز السلوك أو الخلق .. صفة واضحة تميزه على وجه خاص ..

وكما أن لكل إنسان وجهاً له ملامح تعكس شكلاً معيناً نعرفه به .. فإن لكل إنسان أيضاً شخصية لها ملامح تعكس شكلاً أو نمطاً معيناً نعرفه به ..

.. فلكل إنسان شكل مادى تعكسه صفاته الجسدية ..

.. وأيضاً لكل إنسان شكل سلوكى أخلاقى تعكسه صفات شخصيته ..

.. والوجه يتكون من الذقن والخدين والشفتين والعينين والأنف والحاجبين والجبهه والتى تعطى فى مجموعها ملمح هذا الوجه ..

.. والشخصية تتكون من مجموعة من السمات والتى تعطى فى مجموعها الملمح السلوكى الأخلاقى لهذا الإنسان ..

.. والسمة هى الصفة الواضحة المميزة القوية الثابتة التى لا تتغير والتى تستمر مع صاحبها وقتاً طويلاً .. وكل سمة يكون لها سمة عكسية ومناقضة لها تماماً : فالبخل يقابله الكرم والانطواء يقابله الانبساط والهدوء تقابله الثورة والسلام يقابله العنف .. وهكذا ..

.. والشخصية Personality هى مجموعة من السمات Traits .. وكما أن الطيور على أشكالها تقع فإن السمات أيضاً على أشكالها تقع .. فالسمات المتقاربة تجتمع مع بعضها مثلما تجتمع حبات العنب فى عنقود واحد Trait Cluster ..

وقد تكون هناك سمة متطرفة أو مجموعة من السمات الشاذة مما قد يؤدى إلى اضطراب واضح فى الشخصية أو باللغة المادية تشوه فى الشخصية .. والشخصية المضطربة هى الشخصية التى تضطرب علاقاتها بالناس .. فالشخصية هى التى تحدد أسلوب الإنسان فى الحياة ، وشكل علاقاته مع الناس وذلك من خلال اهتماماته واتجاهاته وفلسفته وأفكاره وميوله وعاداته ..

فإذا جاءت سمة شاذة كالعدوانية أو « عنقود » سمات تجمع بين الأنانية .والغرور وتبلد المشاعر فإن سلوك هذا الإنسان يأخذ طابعاً ضد المجتمع أى ضد الناس ومصالحهم ..

وإذا اجتمعت سمات الانطوائية .والخجل والتردد فإن سلوك هذا الإنسان يدفعه إلى الانعزال عن الناس وتفضيل الوحدة ..

.. وهكذا يتكون لدينا مجموعة من الشخصيات التى تجد صعوبة فى التكيف داخل السياق الاجتماعى .. وتعانى من عدم التكيف ويعانى أيضاً الناس الذين يعيشون فى محيطها من أهل وأصدقاء وزملاء عمل ..

.. والشخصية المضطربة ليست مريضة .. فلا هى مريضة نفسياً ولا هى مريضة عقلياً ..

.. ولكن يبدو أن هناك علاقة بين الشخصية والمرض .. كالعلاقة بين الشخصية الانطوائية ومريض الفصام وبين الشخصية القهرية وعصاب الوسواس القهرى وبين الشخصية الدورية وذهان الاكتئاب والمرح الدورى .

• الشخصية الانطوائية (شبه الفصامية) Schizoid Personality

.. يمتلىء قلبه حباً ولا يستطيع أن يصدر إشارة واحدة تكشف عن عواطفه ..

.. يكتظ خياله بالأحلام والأفكار ويلامس النجوم فى خياله ولكنه غير قادر على تحقيق أكثرها تواضعاً ..

.. يهرب من الناس .. يضطرب بشدة إذا اضطر أن يقابلهم .. قد يكون أفضل منهم علماً وقوة وسلطة ومالاً ومكانة ولكنه يشعر بالخوف ..

.. هادىء فى سلوكه .. بعيد كل البعد عن العنف والعدوانية ..

.. متردد .. موسوس .. يهتم بأفكاره ويرعاها .. يهتم بالقراءة والموسيقى وأى هواية يكون فيها وحيداً .. ولهذا يصلح كعالم أو فيلسوف أو باحث ولا يصلح كممثل أو مسئول فى العلاقات العامة أو قائد لأى مجموعة من الناس وإن صغر عددها .. بعض مرضى الفصام يجيئون من هذه الشخصية .. ولكن هذا ليس معناه أن صاحب الشخصية الفصامية معرض لمرض الفصام .. فهناك عوامل كثيرة تسهم فى حدوث مرض الفصام أحدها طبيعة الشخصية ..

• الشخصية البارانوية Paranoid Personality

لا يمكن للإنسان أن يرى ما يحدث خلف ظهره لأن عينيه مثبتتان للأمام .. والإنسان ليس بحاجة إلى أن ينظر كل لحظة خلفه ليرى ما يحدث إلا إذا كان متوقعاً لشر أو لخيانة لا بد أن تأتيه من حيث لا يرى .. وهذا التوقع يجعل حياة الإنسان عذاباً وأيضاً يجعل حياة من يعيشون معه أكثر عذاباً لأنه يشك فيهم .. يشك فى إخلاصهم وولائهم ويتوقع منهم الخيانة والشر والإيذاء ..

والله عز وجل لم يخلق للإنسان عيوناً خلفيه لأنه أراد للإنسان أن يعرف معنى الثقة والأمان والطمأنينة .. وأن يتوقع الخير من الآخرين .. وذلك يعطى إحساساً جميلاً بالسعادة ويخلق علاقات طيبة وودية بين الناس ..

.. والشخصية البارانوية تشعر دائماً بالاضطهاد وبأنها لم تأخذ ما تستحق ، ولهذا فهو دائم الشكوى ودائم العداء للآخرين ودائم الاحتكاك بهم ولذا فمشاعر الود الخارجة منه للآخرين معدومه أو محدودة جداً وكذلك مشاعر الود من ناحيتهم تجاهه معدومة أو محدودة جداً .. ولذا فإنه يتنفس هواء به نسبة قليلة من الحب ..

• الشخصية السيكوباتية .. المضادة للمجتمع
Psychopathic Personality.. Anti social Personality

.. كل إنسان يحب نفسه . وجزء من حبه لنفسه أن يحب الآخرين .. فالآخرين هم بعض نفسه وهو بعض من الآخرين .. فهكذا الإنسان السوى فى عواطفه ، يجب أن يشعر بتوحد مع الآخرين وأن مصالحه لا تتحقق إلا بالتلاقى مع مصالحهم .. وبعيداً عن المصالح فإن الإنسان يحب أشخاصاً كثيرين فى حياته .. أهله وأولاده وزوجه وبعضاً من جيرانه وبعضاً من زملائه .. كما يحمل تعاطفاً لأشخاص لا يعرفهم قهرتهم الحياة بكوارثها ومصائبها .. وهذا يجعلنا نتصدق ونحسن ونؤثر بعض الآخرين على أنفسنا ونتنازل ونتواضع ونضحى .. وذلك هو معنى كلمة إنسان ومنها كلمة الإنسانية ..

بعض الناس تجمدت عواطفهم تماماً وماتت قلوبهم فلا يشعرون إلا بأنفسهم ولا يتورعون عن ارتكاب أى سلوك عدوانى عدائى ضد المجتمع ،إذا كان ذلك يحقق لهم لذة أو فائدة أو مصلحة .. هم أولاً ويحترق بعد ذلك الجميع .. ومنهم السارق ومنهم المزور ومنهم المرتشى ومنهم النصاب ومنهم المغتصب ومنهم تاجر المخدرات ومنهم التاجر الغشاش ومنهم التاجر الجشع ..

.. ومنهم الذكى جداً الذى يرتكب أيًا من هذه الفظائع ولكن يبدو للناس فى صورة الرجل الطيب الشهم ا لكريم المضحى الحريص على المصلحة العامة الأمين فى

كل تصرفاته المحب للخير وللناس ويسمى فى هذه الحالة باسم السيكوباتى المبدع Creative Psychopath ..

والسيكوباتى قد يدخل السجن .. وفى اليوم الذى ينهى فيه عقوبته يرتكب نفس الجريمة بمجرد خروجه من السجن .. أى أن العقاب لا يجدى .. ولا يستفيد ولا يتعلم من التجربة المؤلمة التى تمر به .. وقد يولد الإنسان بالسمات السيكوباتية ..وقد يكتسب بعض هذه السمات من البيئة التى تربى فيها .. وقد يضطرب سلوك الإنسان نتيجة لإصابة عضوية فى المخ بعد الحميات والإصابات الدماغية فى الحوادث ..

• الشخصية غير الناضجة انفعالياً
Emotionally immature Personality ..

الانفعال الناضج هو الذى يتجاوب مع المؤثرات والأحداث بما يناسب حجمها وأهميتها وهو الذى يتم التعبير عنه بشكل ملائم كما يمكن التحكم فيه وتوجيهه حسب مقتضيات الظروف .. وهو بلا شك مرتبط بدرجة التعليم والثقافة والتربية للمجتمع الذى تربى فيه ..

فإذا كنت – مثلاً – تجلس مع إنسان على مائدة الطعام ، وفى أثناء حواركما اختلفت معه حول رأيه فى إنسان معين أو فى قضية ما ، فوجدته ثار وانفعل بشدة وقلب مائدة الطعام .. بلا شك ستبهت وتندهش لهذه الثورة التى لا مبرر لها .. هذا هو الإنسان صاحب الشخصية غير الناضجة انفعالياً .. وبعد دقائق يعتذر ويندم عما صدر منه ويعد بأنه لن يعود إلى ذلك مرة أخرى .. ولكنه بلا شك سوف يعود إلى مثلها فى مواقف أخرى ..

.. وذلك الزوج الذى يمشى مع زوجته فى الطريق فإذا هما يختلفان حول المكان الذى يذهبان إليه بعد ذلك .. فإذا به يثور وينفعل ويصرخ ويجرها بعنف من ذراعها حتى كاد الناس يتجمعون من حولهما .. وبعد دقائق يهدأ ويعتذر ويندم ..

ذلك هو الإنسان الذى يصفه الناس بأنه « طيب ولكن عصبى » .. والترجمة

العلمية لكلمة « عصبى » أن انفعالاته غير ناضجة ..

- **الشخصية العاجزة .. Inadequate Personality**

من كانت يداه ضعيفتين فإنه لن يستطيع أن يرفع شيئاً ثقيلاً من على الأرض وإذا رفعه فإنه لن يستطيع أن يمشى به لمسافة طويلة .. فهناك عجز أو ضعف فى القوة البدنية لهذا الإنسان .. وهناك بالمثل ضعف أو عجز فى القوة النفسة للإنسان .. فهذا الأخير لا يستطيع أن يبدأ عملاً وإذا بدأه لا يتمه .. ولهذا لا يمكن الاعتماد عليه ولا يمكن الوثوق به .. ولا يمكن مشاركته فى شيء ، ففى منتصف الطريق أو حتى فى أوله سيتركك ويمضى ..

ولهذا فهو يفشل فى أى علاقة ويفشل فى أى عمل .. تماماً مثل الشخصية غير الناضجة انفعالياً التى تفشل فى علاقاتها بالآخرين لعدم استقرار وانتظام انفعالاتها وقصر نظرها وعدم قدرتها على التحمل وعدم قدرتها على الالتزام بالعهود والمواثيق والتعهدات .. ويبدو أن الشخصية العاجزة والشخصية غير الناضجة انفعالياً يأتيان من نفس النبع أى لهما نفس الأسباب .. وأتصور أن لها أسباباً تتعلق بأسلوب التربية والنشأة والمناخ الاجتماعى الثقافى ..

.. ثمة شخصيات أخرى كالشخصية الهيستيرية **Hysterical Personality** ، والشخصية الدورية **Cyclothythmic Personality** ، والشخصية القهرية **Compulsive Personality** وكلها جاء الحديث عنها فى الأمراض المرتبطة بها ..

.. وسبحان الذى خلق بلايين الوجوه التى لا تتشابه أبداً .. وبلايين البصامات التى لا تتشابه أبداً .. وأيضاً بلايين الشخصيات التى لا تتشابه أبداً .. فمن ذا الذى يتجاسر ويدى أنه يستطيع أن يخلق ذبابة أو حتى جناح بعوضة ..

طب نفس الأطفال

Child Psychiatry

وجه كثير من الأطباء النفسيين فى العالم أبحاثهم إلى الأمراض النفسية والعقلية التى تصيب الطفل ، بل أصبح هناك أقسام متخصصة للطب النفسى المتعلقة بالطفل فى كثير من كليات الطب فى العالم ، وكل الأبحاث تؤكد أن الطفل معرض للمعاناة النفسية بصورها المختلفة تماماً مثل الكبار .. فقد يصاب الطفل بالمرض النفسى كالقلق والاكتئاب والمخاوف ، وقد يصاب أيضاً بالمرض العقلى كالفصام ، وقد يأتى المرض فى صورة أعراض نفسية مباشرة كالشعور بالخوف والقلق والبكاء والإحساس بالحزن والتعاسة ، وقد يأتى فى صورة غير ما تقدم يتعذر معها فى البداية الوصول إلى التشخيص السلم ..

فهناك الكثير من الاضطرابات التى تصيب الطفل والتى تأكد – الآن – أن سببها اضطراب نفسى : كالتبول الليلى اللاإرادى والتلعثم فى الكلام والقىء والآلام المعوية والتبرز اللاإرادى وفقدان الشهية للطعام ونقص الوزن والتأخر الدراسى والخوف من المدرسة وزيادة الحركة والاضطرابات السلوكية كالعدوان والسرقة والهروب من المدرسة ، كل هذه الاضطرابات تندرج تحت المرض النفسى ..

.. وهناك اتجاه جديد الآن تتبناه منظمة الصحة العالمية ، وهو عدم تصنيف الأمراض النفسية التى يتعرض لها الطفل وإدراجها كلها تحت الاكتئاب بل يطلق عليها أمراض **الطفل غير السعيد Unhappy Child** .

.. والطفل المريض نفسياً ظاهرة مرضية فى أسرة مريضة ، ولهذا فإن معظم العلاج يوجه إلى الأسرة وليس إلى الطفل ! ولقد أكدت الابحاث أن الطفل المحروم من الحنان والحب الأسرى هو أكثر الأطفال تعرضاً للمعاناة النفسية ، وقد يفقد الطفل الحنان بغياب أحد الوالدين – بالموت أو الطلاق – أو كثرة الخلافات بينهما أو قسوة أحدهما بدون مبرر أو حرمانه من اللعب ومن اللعبة ..

.. قد يعانى الطفل نفسياً لمجىء طفل جديد فى الأسرة أو مع بداية دخول المدرسة ، أو نتيجة لتعرضه للعقاب من المدرس أو لتعرضه للسخرية أو الضرب من زملائه بالمدرسة ..

.. وقد تكمن معاناة الطفل فى أن قدراته الذكائية أقل من زملائه بالفصل ، وهذا يحدث غالباً فى الأطفال الذين يصر ذوّو قرابتهم على إدخالهم فى مدارس خاصة وبالذات مدارس اللغات ، فتظهر على الفور الأعراض النفسية على الطفل ، وبمجرد نقله إلى مدرسة تناسب قدراته تختفى هذه الأعراض ، ويعود الطفل إلى حالته الطبيعية ، ولذا فإنه من الضرورى ألا يضغط الآباء على أبنائهم دراسياً ويصروا على إلحاقهم بمدارس ذات مستوى تعليمى خاص حيث تصبح المنافسة شديدة بينه وبين بقية الأطفال ..

.. وقد يتعثر الطفل دراسياً نتيجة لاضطرابه النفسى برغم أن قدراته الذكائية مرتفعة ، فيلاحظ الوالدان أو المدرسة هبوطاً مفاجئاً فى مستوى الطفل وعدم قدرته على التحصيل ، كما يلاحظ عليه أنه كثير السرحان ضعيف التركيز ، وتتفاقم المشكلة أكثر إذا تعرض الطفل للعقاب نتيجة لهبوط مستواه الدراسى ..

ويستبعد الطبيب النفسى وجود اضطراب عضوى بفحص الطفل ، كما يستبعد انخفاضاً أولياً فى مستوى الذكاء ، وذلك بعمل اختبار للذكاء ، خاصة إذا كان هبوط المستوى الدراسى قد حدث بشكل مفاجىء بعد أن كان الطفل متفوقاً أو طبيعياً ..

.. عادة ما يظهر المرض النفس على الطفل بأكثر من عرض .. فيعانى الطفل من اضطراب فى النوم كالأرق أو الرعب أو الأحلام المغزعة وفقدان الشهية للطعام وفقدان وزنه وتخلفه الدراسى ..

.. وآلام البطن والقيء من الأعراض الشهيرة عند الأطفال خاصة فى الصباح قبل موعد الذهاب للمدرسة ..

.. ومن أكثر الأعراض التى تزعج الأسرة التلعثم فى الكلام ، وفى حالة استبعاد الأمراض العضوية التى قد تتسبب فى ظهور هذه الحالة والتى تنشأ نتيجة لاضطراب فى بعض المراكز المخ – فإن السبب المباشر لهذه الحالة هو المرض النفسى ، ويجب توجيه عناية بالغة لمثل هذه الحالات فى بدايتها ، لأنها تؤثر على شخصية الطفل حيث يتعرض للسخرية والنقد فيصاب بالحرج ، وينطوى على نفسه ، وهذا يعطل نموه الاجتماعى ، ويؤثر على تحصيله الدراسى ، كما أن التأخر فى العلاج يؤدى إلى استمرارها حتى سن متقدمة حيث يصعب العلاج ..

.. ومن الأعراض المزعجة أيضاً التبول الليلى اللاإرادى ، فعادة يتحكم الطفل فى التبول فى سن الثانية ، وقد يعاوده التبول اللاإرادى خاصة فى أثناء النوم ..

ولهذه الحالة أسبابها العضوية كصغر حجم المثانة والتهابات مجرى البول وبعض الاضطرابات الخلقية فى النخاع الشوكى ، وباستبعاد هذه الأسباب العضوية فإن السبب المباشر يكون اضطراب الطفل نفسياً ، وكما سبق فإن الاضطراب النفسى للطفل ما هو إلا حالة اكتئابية .. والعلاج بالعقاقير يفيد كثيراً فى هذه الحالة مثل العقاقير المضادة للاكتئاب .. ومن العجيب أن الأطفال يتحملون جرعات كبيرة من هذه الأدوية دون ظهور أى أعراض جانبية ..

.. والطفل العدوانى الكثير الحركة يسبب مشاكل كثيرة سواء فى المنزل أو فى المدرسة .. وعادة ما يتعرض للعقاب القاسى على حين أنه يعانى من اضطراب فى خلايا المخ يحدده رسام المخ الكهربائى ..

وفى السنوات الأخيرة ظهر الكثير من العقاقير التى تعالج العدوان عند الأطفال ، وكذلك الحركة الزائدة ، ولكن علاج الطفل وحده لا يكفى ، فالعلاج يجب أن يمتد إلى الأسرة حيث يكمن السبب الرئيسى لمعاناة الطفل ..

.. وقد يعجب الكثيرون أن الطفل المكتئب قد يحاول الانتحار .. ومجلات الطب

النفسى تتجدث عن حالات انتحار تمت فعلاً بين الأطفال المكتئبين ، وأحيانا يسمع الطبيب النفسى عبارات غريبة تصدر من طفل يعبرّ بها عن حزنه ويأسه من الحياة ورغبته فى التخلص من حياته ..

وقد يصاب الطفل فى السنوات الأولى من عمره بمرض الفصام ، وأعراض فصام الطفل تخالف فصام الكبار ، وأبرز أعرضه التأخر فى الكلام وعدم الارتباط العاطفى بالوالين وعدم الإحساس بذاته ، فلا يميز نفسه عن الجماد أو الحيوان ، ويصاحب ذلك اضطراب فى الإدراك فى هيئة هلاوس واضطراب فى الحركة ..

ومازال **التخلف العقلى Mental Subnormality** من المشاكل المستعصية فى الطب النفسى ، وأسبابه كثيرة ، ومن أهمها إصابة المخ بعطب أو تلف نيتجة لإصابة دماغية فى أثناء الولادة أو فى سن مبكرة نتيجة لحمى مخية أو اضطراب فى عمليات الأيض أو نقص مبكر فى الهرومونات خاصة هورمون الغدة الدرقية .. كما أن هناك بعض أنواع التخلف العقلى لا يُعرف لها سبب ، والعلاج يتجه عادة إلى تأهيل الطفل وأستغلال ما تبقى له من قدرات وتدريبه على حرفة معينة حتى يستطيع أن يعتمد على نفسه .

وهكذا لا يوجد سن لديه حصانة من المرض النفسى أو العقلى .. بل لا يوجد إنسأن لديه مثل هذه الحصانة ..

الإضطرابات الجنسيــة ..

Sexual Disorders

.. كلنا نأكل ولكننا نختلف فيما بيننا فيما نحب وما لا نحب من الأطعمة .. وكلنا نرتدى الملابس ولكننا نحتلف فى تفضيلنا لألوان معينة ولأشكال معينة .. ومن تنوع اهتماماتنا مع بعضنا البعض وميولنا نتعامل ونتفاعل مع بعضنا البعض ونجد لذة وإثارة فى هذا التنوع وذلك الاختلاف .. ولعل ذلك هو جوهر اللذة : التنوع والاختلاف والتغيير .

واختلاف إنسان عن إنسان يخلق مفهوم التميز والتفرد .. والإنسان ، أى إنسان ، يجب أن يكون متميزاً متفرداً ، وبذلك تصبح لكلمة « أنا » معنى قوياً صارخاً متحدياً ..

• يحاول إنسان أن يتفوق على إنسان فى العلم أو الجاه أو المال أو المكانة الاجتماعية .. وباختصار يحاول أن يكون هو الأقوى .. فالعلم أو المال أو المكانة قوة ... ولذلك كان الحسد والحقد والعنف وكانت الغيرة والعداوة والحروب .

.. إلا أن هناك أشياء يشترك ويتساوى فيها كل البشر إلى حد كبير ، ألا وهى الوظائف الفسيولوجية كالدورة الدموية والتنفس والهضم وعمليات الإخراج والنوم ..

.. وبالرغم من أن الجنس هو وظيفة فسيولوجية غريزية إلا أنه اكتسب معان

مختلفة وعميقة عند الانسان مما جعل البشر يختلفون إلى حد ما فى إدراكهم وإحساسهم بالجنس ، ومن ثم سلوكهم الجنسى ...

والتعريف البيولوجى المطلق للجنس هو أنه سلوك يؤدى إلى التكاثر .. وبذلك فهو وظيفة أساسية عند كل كائن حى من نبات أو حيوان أو إنسان .. وظيفة لا غنى عنها مثل التنفس .. فا لجنس هو رئة الكون التى تتجدد من خلالها الكائنات الحية التى تعيش على سطح الأرض .

.. إلا أنه اختلف عند الإنسان لأنه ينطوى على علاقة .. علاقة إنسان بإنسان .. وكل واحد منهما يأتى من جنس مختلف .. أى رجل وامرأة .. وأى علاقة إنسانية لكى تتم لابد أن تحركها وتبعثها عاطفة .. إذن لكى يتم الجنس بين رجل وامرأة لابد أن تنشأ بينهما عاطفة .. وهذه العاطفة لها أشكال ودرجات مختلفة تبدأ بالإعجاب أو القبول وتنتهى بالعشق والهيام .. ولهذا حدث ارتباط بين الجنس والعاطفة عند الإنسان ، حتى أصبحت العاطفة أحد المحركات الأساسية للأحاسيس الجنسية .. وأصبح خيال الإنسان يلعب الدور المبدئى فى إثارة الأحاسيس الجنسيه .. فلا جنس بدون خيال ، وبدون أن ترتسم الصورة فى البداية فى العقل ثم تندلع الإثارة من الرأس إلى الأعضاء التناسلية فيسعى الإنسان حينئذ نحو الطرف الآخر لكى يتم اللقاء على المستوى الجسدى ..

إذن الموضوع الأساسى للجنس هو الإنسان .. إنسان حى قادر على الاتصال العاطفى ، وله صفات جسدية قادرة على جذب إنسان آخر ولابد أن بتمى هدا الإنسان إلى الجنس الآخر ، إذ لا يمكن أن يميل – جنسياً – رجل إلى رجل آخر ..

ولا يمكن أن يميل إنسان بالغ إلى طفل .

ولا يمكن أن يميل شاب إلى سيدة عجوز .

ولا يمكن أن يميل إنسان إلى حيوان .

ولا يمكن إن يميل إنسان إلى جسد إنسان ميت ..

ولكن المفروض على المستوى النظرى شيء والواقع شيء آخر .. فهناك إنسان يميل إلى نفس جنسه ، وآخر يمارس الجنس مع الأطفال ، وآخر لا يستمتع إلا مع من هم فى ضِعف سنة أو أكثر . وهناك الذى يمارس الجنس مع الحيوانات ومع الأجساد الميتة ..

.. والعملية الجنسية ، لأسباب تشريحية ، لابد أن تتم بطريقة معينة تتلاقى فيها الأعضاء التناسلية ، وبذلك تتحقق اللذة والنشوة النهائية . ذلك هو التعبير الطبيعى عن الجنس . فلا يمكن أن تتحقق اللذة وتكتمل النشوة بمجرد الاحتكاك بجسد الإنسان الآخر أو بمجرد مشاهدة اثنين يمارسان الجنس أو بمجرد أن يكشف الإنسان عن أعضائه التناسلية لإنسان آخر .

ولا يمكن أن تتحقق اللذة وتكتمل النشوة بمجرد إيذاء الطرف الآخر أو تلقى الإيذاء والتعذيب منه .

ولكن المفروض على المستوى النظرى شيء والواقع شيء آخر .. فهناك إنسان يصل إلى قمة نشوته بمجرد الاحتكاك بجسد إنسان آخر ، أو حين يشاهد الآخرين وهم يمارسون الجنس ، وحين يؤذى الطرف الآخر ، أو حين يتلقى التعذيب منه ، أو حين يكشف عن أعضائه التناسلية للآخرين ..

.. ما معنى هذا .. ؟

هذا معناه أن هناك بعض البشر مختلفون عن كل البشر .. .

.. فهل هذا الاختلاف مرض ؟ . هل الرجل الذى يمارس الجنس مع رجل آخر مريض ؟ . وهل المرأة التى لا تشعر بالإثارة الجنسية إلا حينما ترتدى ملابس رجل مريضة ؟ . وهل الرجل الذى لا يصل إلى نشوته إلا بتعذيب إمرأته وإسالة الدماء منها مريض ؟ وهل المرأة التى لا تصل إلى نشوتها إلا عند ضربها بقسوة من رجُلها مريضة ؟ . وهل ... وهل ... وهل ؟؟؟

.. هل هم مرضى .. ؟

.. ولماذا هم مرضى .. ؟

. هل لأنهم يستمتعون بطريقة مختلفة نعتبرهم مرضى .. ؟

وإذا كان مرضاً فما سبب المرض .. ؟

● هل هو اختلاف تشريحى ؟

- لا

● هل هو اضطراب هورمونى .. ؟

- لا ..

إذن أين المرض عند هذا الانسان الذى ليس لديه أى خلل تشريحى أو فسيولوجى .. أى لا يوجد أى خلل عضوى ..

● هل يصبح الخلل بذلك نفسياً ..

● وهل تعريف المرض هو مجرد الاختلاف .. ؟

● وهل توجد حالة نفسية دون أن يكون لها أساس عضوى .. ؟

● ولماذا لا يكون الأمر وراثياً .. خلقياً .. أى هكذا خلق هذا الإنسان ثم ولد هكذا ثم ظهرت عليه هذه السمات حين شب إلى المراهقة .

.. ولنستعرض الحالات عن قرب حتى يكون حكمنا عليهم أكثر دقة وأكثر أنصافاً وأكثر وضوحاً فى نظر العلم .

الجنسية المثلية (اللواط) .. .. Homo Sexuality

هو لا يشعر مطلقاً تجاه أية امرأة ، بل قد يشمئز من مجرد تصور أنه يمارس الجنس معها .. ولكن رجلاً آخر يثيره .. يوقظ أحاسيسه .. يحرك عواطفه .. يجعل الدماء

تجرى متدفقة حارة فى أعضائه فيتمناه لنفسه فاعلاً أو مفعولاً به أو فى كلا الوضعين وذلك هو الأعم الأغلب إذ لا يوجد تقسيم بهذا المعنى .. يحب عرقه ويحب خشونته .

.. وقد يتعلق به قلبه ويصير هو حبيبه وخليله لا يقبل شريكا غيره ولا يخونه .. ولكن ذلك نادر بين الرجال .. فمثل هذا الإخلاص لا يوجد إلا فى النساء .. وهناك درجات لذلك .. فقد يقتصر الأمر على الحب ، أو تبادل العناق والقبلات ، أو ممارسة الجنس سطحياً مجرد تلاصق الأجساد العارية أو النصف عارية .. أو قد تكون علاقة جنسية كاملة يتم فيها إدخال عضو التناسل لأحدهما فى شرج الآخر حتى يتم الإنزال لكليهما وتتحقق بذلك النشوة النهائية لكلاهما ..

.. وفى النساء يكون الحب هو الأكثر شيوعاً . وتعيش المرأتان قصة حب ملتهبة ومتصلة .. والخيانة تكون جارحة وقاتلة والغيرة تكون شديدة .. وفى حالات كثيرة يقتصر الأمر على القبلات والمداعبات الجسدية السطحية .. وفى بعض الحالات تحدث إثارة جنسية بوسائل مختلفة (فى الغالب تلاقى الأعضاء الجنسية)حتى تتحقق النشوة النهائية .. وتعرف حالة الجنسية المثلية فى المرأة باسم **Lisbianism** وهذه المرأة بالذات تشمئز جداً بمجرد تصورها لعلاقة مع رجل ..

والغريب أن بعض هؤلاء السيدات يتزوجن وبعض هؤلاء الرجال يتزوجون .. وقد يمارس الرجل الجنس مع زوجته وفى نفس الوقت يمارسه مع صديقة . ونفس الحال مع المرأة التى تمارس الجنس مع زوجها وتنجب ولكنها فى نفس الوقت تمارس الجنس بنشوة حقيقية مع صديقتها **Bisexual** .

بعضهم يعيش مكتفياً .

بعضهم يعانى ويتألم ويتمنى الخلاص من هذه الحالة ..

بعضهم متوافق ومتكيف ومتقبل ، وأيضا متبجج فلا يهمهم رأى الآخرين أو نظراتهم أو تعليقاتهم وربما يجاهرون ..

وبعضهم معذب وقلق ويعيش فى خوف وهم ..

والجمعية الامريكية للطب النفسى اعتبرت الذين يعانون هم المرضى الذين يستحقون العلاج ، أما هؤلاء المتكيفون المستقرون فلا يجب الاقتراب منهم .. بل لندعهم يستمتعون بحياتهم بالطريقة التى يحبونها والتى خلقوا عليها .

علماء الغدد فشلوا فى إثبات وجود خلل فى الغدد الجنسية عند حالات الجنسية المثلية ..

ولكن بعض علماء الوراثة أكدوا على أن العامل الوراثى يلعب دوراً كبيراً ..

والعلماء السلوكيون يرون أن هذا الإنسان تعرض وهو صغير إلى اعتداء جنسى صاحبته لذة فحدث ارتباط شرطى تم تدعيمه بالتكرار ..

وعلماء التحليل النفسى يرون أن الرجل الذى يمارس الجنسية المثلية هو رجل عاجز عن ممارسة الجنس مع النساء لأن أية امرأة هى فى نظره تمثل أمه .. وبالنسبة للفتاة فإنها تشعر بالغيرة من الرجل لأن لديه قضيباً ولذا فهى تمارس الجنس مع فتاة مثلها حتى تشعر بأنها تمتلك هذا القضيب ..

أى العلماء نصدق ؟ حتى هذه اللحظة لا يوجد رأى قاطع .. ولكنها اجتهادات متناثرة متضاربة .

.. **وجماع الأطفال Infanto Sexuality** : مشكلة خطيرة قد تنتهى بجريمة قتل حيث يقوم الرحل بقتل الطفل الذى مارس معه الجنس ..

.. **وجماع الشيخوخة Gerontosexuality** : يؤكد شيئاً خطيراً نتعلم منه درساً بليغاً وهو أن : النضارة والصبا والشباب ليست المثيرات الحقيقية للرغبة الجنسية .. فللعلاقة الجنسية معنى أعمق من ذلك بكثير .. إنها علاقة انسانية بالدرجة الأولى .. علاقة تلبى احتياجات نفسية قبل تلبيتها للاحتياجات الجسدية ، بل إن الاحتياجات الجسدية هى احتياجات ثانوية .. الجنس إذن علاقة إنسانية تلبى احتياجات الأمان وزوال الخوف والطمأنينة .. ولذا نرى فتاة فى العشرين لا تحب إلا رجلاً فى الستين وشاباً فى الثلاثين يتزوج سيدة فى الخمسين أو الستين ولا تتحقق المتعة الجنسية إلا مع

هذه السن المتقدمة ..

جماع الشيخوخة يُسقط تماماً أهمية الجلد المشدود والشعر الغزير والعيون الزاهية والعضلات المفتولة ..

ثم يأتى جماع الحيوان Bestio sexuality

ليجعلنا أكثر حيرة .. وقد يظن البعض أنها حيوانية مطلقة من الإنسان أن يمارس الجنس مع حيوان أو تفضيلية للحيوان على الإنسان .. فقد تتاح له الفرصة لممارسة الجنس مع إنسان آخر ولكنه يفضل الحيوان ..

.. إذن **الإثارة** الجنسية لا يحركها أساساً الجسد ، **ولكن تحركها دوافع أو** احتياجات نفسية .. **إذن** هو هنا يرفض الإنسان .. **الإنسان يرفض الإنسان** كموضوع للجنس .. **يرفضه** كمثير للجنس .. **يرفضه** كأسلوب **يعبر به عن** أحاسيسه الجنسية .. واستبدل الإنسان بالحيوان ..

هو إذن العجز عن إقامة علاقة مع الإنسان .. تلك العلاقة التى تهدده وتفزعه وتزلزله .. أما الحيوان فلا يخيفه ولا يفزعه ، بل هو يشعر معه بتفوقه وسيطرته ..

ثم يأتى جماع الأموات Necrophilia ليجعل الاندهاش يصل إلى حد الصراخ والعويل .. الإنسان هنا أسقط الحياة تماماً كمثير لاحاسيس الإنسان وغرائزه .. فلتسقط الحياة بكل مظاهرها الجوفاء من حركة وتلوى وصراخ وألوان .. فليسقط هذا الزيف وليبق المعنى .. معنى الإنسان حتى ولو كان جثة هامدة .. بل وهو جثة هامدة يثير النشوة واللذة أكثر لأنه لا خوف منه . فحين يموت الإنسان يموت معه شره وضرره ..

إذن هذه الجثة لا شر منها ولا ضرر . ولهذا فهى تحقق الإثارة الحقيقية .. وإذا نزلنا إلى أعمق الأعماق لكشفنا عن طبيعة المشكلة : وهى خوف الإنسان من الإنسان ..

.. ولكى تتحرك أحاسيس الإنسان الجنسية لابد أن يكون هناك مثير .. باعث ..

محرك .. وتلك إثارة لاتحقق النشوة النهائية ولكن لابد من حدوث اللقاء والممارسة الكاملة ..

ولكن هذا المثير قد يكون بعيداً كلية عن موضوع الجنس ولا يمكن لأحد أن يتصور أنه قد يحرك أية مشاعر جنسية ..

فمثلاً .. فى حالة تسمى « الفيتيشية » **Fetishism** يتحول الإنسان من إنسان إلى جماد .. فبدلاً من أن تثيره المرأة ، فإن حذاءها هو الذى يثيره .. أو فستانها أو ملابسها الداخلية أو أدوات زينتها أو رائحتها .. وأحياناً شعرها أو قدمها .. وأما هى فلا .. مجرد لمس أو رؤية هذه الأشياء يحرك الرغبة إلى حد الجنون وأيضاً يحقق اللذة النهائية ..

ماذا يعنى هذا التحول من الإنسان إلى الجماد .. ؟ علماء السلوكية يرون أن هذا الجماد ارتبط بالإثارة الجنسية فى طفولة الإنسان أى أنه مكمن المثير الجنسى الأول .

ولكن فى تصورى أن المشكلة أعمق من ذلك .. إنه الخوف من الإنسان .. عدم القدرة على الاتصال بإنسان آخر وإقامة علاقة وثيقة معه .. فالعلاقة الجنسية هى قمة الاتصال وقمة الالتصاق .. وبعض الناس – لأسباب ما – غير قادرين على إقامة هذا الاتصال .. ولهذا فمن البداية يحمى نفسه من أن تحدث له الإثارة عن طريق أو بواسطة إنسان آخر .. يُسقط الإنسان تماماً ويستبدل به الجماد .. وهذا يكشف عن أخطر الأبعاد ونحن نحاول أن نفهم طبيعة السلوك الجنسى عند الإنسان .. فالمثير قد يفتقر تماماً لأى خصائص جنسية ولكن تكون له القدرة على إحداث الإثارة بل وأيضاً النشوة النهائية بمجرد لمسه .. إذن ليس من المهم وجود الخصائص الجنسية ولكن المهم هو ما يحمله هذا الشيء من معان خاصة بالنسبة للإنسان ..

.. وحالة أخرى تعرف باسم « **تحول الزى** » **Trans Festiism**

وفيه لا تتحقق الإثارة ولا تتحقق النشوة النهائية إلا بأرتداء ملابس الجنس الآخر .. وهنا أيضا استبدل الإنسان الإنسان بالجماد .. الرجل مثلاً هنا أسقط المرأة وأحل محلها ملابسها .. إنه أيضاً الهروب من المرأة ذاتها .. عدم القدرة على إقامة

علاقة معها .. عدم القدرة على الالتصاق النفسى والجسدى بها .. ولكن ملابسها تكفى .. ملابسها وهو يرتديها ، وهى ملاصقة لجسدة ... وينظر إلى نفسه فى المرآة .. ويستثار .. ثم تتحقق النشوة النهائبة بشكل تلقائى أو بعد إجراء العادة السرية Masturbation . وإرتداء ملابس الجنس الآخر لا يعنى رغبته فى أن يغير جنسه .. فتلك حالة منفصلة تعرف باسم **تحول الجنس** « **Trans Sexualism** وهى من الحالات التى تسبب ألماً نفسياً شديداً لصاحبها أو لصاحبتها وكذلك يسبب مشاكل أسرية واجتماعية ..

ففى هذه الحالة ينقسم الإنسان على نفسه .. أو ينفصل جسده عن نفسه .. فيصبح جسده غريباً عن نفسه .. وتصبح غريبة عن جسدها .. لديها جسد امرأة ولكنها تشعر أنها رجل .. وهو كذلك لديه جسد رجل ولكنه يشعر أنه امرأة .. فكل منهما يرفض جنسه الذى حدده له جسده ، ويعترف فقط بجنسه الذى حددته له أحاسيسه الداخلية .. وهنا نتعلم درساً خطيراً ونحن نحاول أن نفهم موضوع الجنس وهو أن مشاعر الإنسان الجنسية لا تتكون من خلال جسده أو لا يكونها جسده .. فالجنس الحقيقى وأحساس الإنسان بانتمائه لجنس معين يتشكل من خلال أحاسيس باطنية داخلية .. المهم ليس شكل جسم الإنسان ولكن المهم هو ما يشعر به ..

هى - طبعاً - فى هذه الحالة لا يثيرها رجل .. وإنما تثيرها امرأة .. ولذا تلبس ملابس الرجال وتمشى كما يمشون وتتكلم كما يتكلمون وتصادق الرجال ولكنها تحب النساء وتمارس الجنس مع النساء .. والأمر هنا لا ينطوى على جنسية مثلية ولكن هى تشعر أنها رجل وأنه من الطبيعى أن تمارس الحب مع امرأة ..

ولا أحد يصدقهم أو لا أحد يشعر بهم أو لا أحد يقدر كيف هم يتألمون من هذا التمزق الرهيب ..

وإجراء الجراحة ليس حلاً ..

والهورمونات تزيد الأمر تعقيداً ..

- وقد يصبح لون الجلد هو المنبه المثير القوى .. وهنا تصبح ممارسة الجنس مع

طرف له نفس لون الجلد مستحيلاً وإنما لا تتحقق الإثارة ولا تتم العلاقة إلا مع طرف له لون مغاير .. فإذا كان الرجل أبيض فإنه لا يستثار إلا بامرأة سمراء والعكس صحيح .. وتعرف الحالة باسم « **حب اللون المخالف** » Heterochromophilia..

● ولا يمكن أن تتم العلاقة الجنسية أو الممارسة إلا من خلال التقاء الأعضاء التناسلية لكلا الجنسين .. أى لابد أن تتحقق النشوة النهائية من خلال هذا الطريق .. وهو أيضاً الطريق الوحيد الذى يحدث من خلاله الحمل والإنجاب .. ولكن بعض الناس يكتفون باحتكاك الأجساد .. **Frotteurism** .. وهنا لا يهرب الإنسان من الإنسان ولكنه يهرب من أعضائه التناسلية .. أو قد يكتفى الإنسان بمشاهدة الآخرين وهم يمارسون الجنس **Scotophilia** .

إنه أيضاً هروب من الممارسة .. تكفى المشاهدة أو قد يصاحبها إجراء العادة السرية لتحقيق النشوة النهائية ..أو قد يتعرى هو ليشاهده أحد من الجنس الآخر **Exhibitionism**.. يقف متخفياً فى الشوارع المظلمة ثم يفاجىء امرأة عابرة بتعرية نفسه وكشف أعضائه التناسلية لها لتراها ثم يفر هارباً وهو يشعر بنشوة عالية .. وتتعالى نشوته إذا أظهرت المرأة فزعاً وخوفاً ..

والخوف هنا من المرأة ومن جسدها .. فإذا كانت هذه المرأة بين يديه فإنها لا تحركه ولا تثيره .. فهو عاجز عن إقامة علاقة ، وعاجز عن الاتصال .. ولكنه فقط يريدها أن تشاهد أعضاءه التناسلية فتنعم برؤيتها أو تفزع منها .. وعلماء التحليل النفسى يرون أن هذا الإنسان يعانى من « **عقدة الإخصاء** » **Castration** .

فلقد شاهد جسد شقيقته وهو صغير فاكتشف أن ليس لها قضيب وتصور أنها عوقبت بقطعه وظل خائفاً من أن يتعرض لنفس المصير .. ولهذا فإنه يتعرى أمام امرأة وتستجيب هى لذلك حتى بالفزع فتثبت له أنه لم يتعرض بعد للإخصاء .. والتعرى قد يحدث فى حالات التخلف العقلى والفصام المزمن وفى حالات تشوشر الوعى لأسباب عضوية ومع العَتة ..

● والتعبير عن الجنس قد يأخذ شكلاً غريباً آخر كأن يتفوه الإنسان بالفاظ جنسية أو

يكتبها على الحائط أو فى خطابات أو كتب أو يتلذذ بمشاهدة الصور الجنسية Poronography .. وهناك مجلات تخصص فى هذا وكذلك أفلام سينمائية ..

• ويرتبط الجنس بالألم عند بعض الناس بل لا تتحقق الإثارة والنشوة إلا من خلال الألم وبالألم .. وذلك بأن يستجدى الألم من رفيقة أو يسبب له ألماً .. وتعرف الحالة الأولى « **بالمازوخية** » Masochism والثانية باسم « السادية » Sadism .. والفكرة ليس فى الألم الجسدى ولكنه محاولة لتوصيل هذا الألم للنفس .. محاولة لعصرها وصهرها وكيها .. أى استخدام الجسد كموصل للألم للنفس .. فالإحساس بالألم من الطرف الآخر فى حالة « المازوخية » فيه الذل والخضوع والخنوع ، وإحداث الألم للطرف الآخر كما فى حالة السادية فيه العدوان والقسوة وحب الإيذاء والانتقام .. وتعميق تلك المشاعر لأسباب نفسية أعمق ، أى أنه يريد أن يشعر بالذل أو يشعر بعداوته .. ورغم ذلك ففى النهاية يتحقق الاتصال الجنسى والتواصل مع هذا الإنسان .. أى خرجت اللذه من بطن العذاب .. أى أننى أحبك وأنت تؤذينى .. أو أنك تحبنى رغم أنك تعرضت للإيذاء منى ...

والسبب الأعمق هنا هو الخوف .. خوف الإنسان من الإنسان .. خوف الإنسان من الوحدة ثم الفناء ... إنه يريد أن يثبت لنفسه أنه رغم المهانة .. ورغم القسوة فإنه مازال قادراً على أن يحب وأن يُحب ..

• وبعض الناس يفقدون تماماً الرغبة الجنسية .. أو يفقدون القدرة على الممارسة الجنسية .. والأسباب العضوية وراء ذلك محدودة .. ولكن العامل النفسى هو الأساس وراء مثل هذه الاضطرابات .. الكآبة والقلق والخوف من أهم الأسباب .. وفقدان الرغبة عند المرأة منتشر ولكنها لا تفصح عنه .. وهى تفقد الرغبة حين تفقد حبها .. وتفقد الرغبة إذا تعرضت لإيذاء مشاعرها أو حين تكون مريضة أو مجهدة أو مكتئبة أو قلقة أو أثناء الحمل أو بعد الولادة .. أو حين يتعامل الرجل مع جسدها قبل عواطفها ..

والمتاعب الجنسية موضوع شائك شديد التعقيد لتداخل عوامل كثيرة نفسية وبيولوجية واجتماعية وثقافية .. ولا يكفى فصل واحد ضمن كتاب لاستيعاب كل

هذه التشابكات .. ولكن يهمنا التأكيد على المعانى الآتية :

١ - إن الجنس انفعال نفسى ثم تحرك جسدى ..

٢ - إنه لا توجد نظرية متكاملة حتى الآن تفسر الاضطرابات الجنسية ..

٣ - إن هؤلاء الناس الذين يعانون من هذه الاضطرابات يشعرون بالغربة وبالحيرة ويحتاجون إلى الفهم والمساعدة بدلاً من الإنكار والاستنكار والاشمئزاز والنبذ ..

الطب النفسى الشرعى

Forensic Psychiatry

زمجر باطن الأرض ، وإكفهرت السماء ، واسود وجه القمر ، وبهتت الشمس فانطفأت ، وهبت رياح سامة أحرقت وجه الكون ، وتلوى الوجود عذاباً وعياءً .. وسرى الحزن إلى كل القلوب فاعتصرها .. وسرى السم إلى كل الأكباد ففتتها .. وجثم الألم فوق كل الكائنات .. كل الناس .. كل الحيوان .. كل النبات .. وحتى الجماد داهمه الألم .. وأحنى الجميع رؤوسهم عاراً وحزناً : فلقد قتل الابن أمه .. وقتلت الأم ابنها ..

أى لعنة أصابت القلوب !!

أى مصيبة حلت بالمشاعر والأحاسيس !!

أى كارثة نالت من أقدس العلاقات !!

وإلى أين يمضى التعساء من سكان الأرض !!

• • •

.. تردد صدى صوت الأم فى جنبات الكون متحشرجاً بالأسى : لماذا قتلتنى يا ابنى وقد كنت نور عينى ومهجة فؤادى وبهجة حياتى وسلوى أيامى ومنتهى

آمالى .. كنت أنت النور والفرحة والبهجة والسلوى والأمل .. أمددتك بالحياة من بين أحشائى ثم أصبحت أنت بعد ذلك داعياً ومبرراً لاستمرارى فى الحياة .. كنت أعيش بك ومن أجلك .. فى خاطرى حين أصحو وحين أنام .. ملء عينى فى بعدك وقربك .. لا تشغلنى أفراح خاصة أو عامة أو احزان خاصة أو عامة .. فأنت الخاص والعام . والفرح الحقيقى ينبعث فى قلبى من ابتسامة صفاء وهناء ورضى ترنو على وجهك .. والحزن الحقيقى ينهش فى قلبى من مسحة ألم أو هم أو كدر أو أسى يندى به وجهك ..

وجئت يا أعز الخلق لتطلق الرصاص على عينى وعلى قلبى وعلى كبدى وعلى أحشائى .. ومات جسدى ولكن روحى ما زالت تحوم حواليك تدعو الله أن يحفظك ويرعاك وأن يغفر لك ..

• • •

صرخت كل الأجنة ، وهللت كل البراعم وصرخت كل الاعشار من ألم مفاجىء وذلك حين وصل إلى أسماعها أنين غلام ذبحته أمه لتوها : قولى يا أمى أن القاتل هو يدك وليس قلبك .. قولى يا أمى أن قلبك ما زال ينبض بحبى وأن يدك إغتالتنى رغماً عنك .. قولى يا أمى أنك ستظلين حزينة من أجل فقدى ما بقى لك من عمر .. لا أحد فى هذا الوجود اللامتناهى يريد أن يصدق أنك قاتلتى .

إن ملائكة السماء وشياطين الأرض هتفوا بقلب واحد أن لا .. وظلت لا .. لا .. تتردد فى جنبات الأرض والسماء .. لقد خشوا أن تكون هذه هى النهاية .. نهاية الكائنات الحية إذ لا مبرر لوجودها حين تقتل الأم إبنها .. فحبك لى وحب كل أم لابنها هو المبرر لاستمرار الحياة .. وكيف تكون حياة إلا منك .. إنى استصرخك يا رحم أمى ، يا من إحتويتنى شهوراً تسعة بين جنباتك أن تعود لتحتوينى من جديد وتهبنى حياة جديدة حتى تنفى التهمة عن أمى حين أزهقت روحى لتنعم بعد ذلك بحرية حمراء ..

.. تطلعت العيون الستة الصغيرة بدهشة أغلبها براءة إلى الأم وهى تتحرك ناحيتهم وكأن بها ذهول جعلها تبدو كصنم متحرك . ولكن عينيها لم تبتعدا قيد أنملة عن وجوه أطفالها الثلاثة ، ولاحت فيهما نظرة جمعت كل الحب .. وكل الاشفاق .. وكل الحزن . والله وحده ولا أحد غيره على الاطلاق هو الذى يعلم قدر آلام هذه الأم فى هذه اللحظة .. والتصور الساذج أو الغرور قد يدفع أحدًا لان يقول أن آلام البشر أجمعين فى هذه اللحظة تتساوى مع آلام هذه الأم التى تتجه نحو أطفالها لتقتلهم .. وقد يدفع التهور شخصاً آخر ليقول : إن آلام البشر أجمعين فى الماضى والحاضر وما سوف يصيبهم من آلام فى المستقبل تتساوى مع آلام هذه الأم فى هذه اللحظة .. وقد يجىء ثالث فيقول : إن آلام البشر لا تساوى إلا ذرة من آلام هذه الأم .. ولكن على وجه اليقين أن الله وحده ولا أحد غيره على الاطلاق هو الذى يعلم قدر آلام هذه الأم فى هذه اللحظة وهى تتجه بوعى لينفى عنها تشوش العقل نحو أطفالها لتنتزع أرواحهم بيديها ..

• • •

.. باستسلام المُبَاغَتَ تلقت من الطعنة الأولى ولم تشعر أو لم تظهر ألماً رغم نفاذها ولكنها تهيأت للكلام حين سمعته يصرخ فى وجهها : عاهرة .. عاهرة .. ساقطة .. من هو أب الجنين الذى فى أحشائك يا فاجرة ؟ ولم يمهلها حتى تجيب وأكمل طعناته العشرين أو الثلاثين ..

.. وأثبت تقرير الطبيب الشرعى أن شقيقته فاضت روحها وهى عذراء وبطنها خلو من أى جنين .. وشهد الجميع أنها كانت حسنة السير والسلوك بل وكانت تقية وصالحة ..

- لماذا إذن أيها التعيس قتلت شقيقتك ؟

• كل الاصوات إتهمتها بسوء السلوك .

- أى أصوات ..؟

• أصوات أسمعها بالليل وبالنهار .. وفى كل مكان .. أصوات رجال ونساء وأحياناً أطفال .. كل الأصوات تهتف فى وقت واحد وتؤكد أنها تحمل سفاحاً بين أحشائها ..

– وهل كنت ترى أصحاب هذه الأصوات ؟

• لا .. كنت اسمعهم ولا أراهم .. ولقد أمرونى بقتلها ففعلت ..

• • •

.. كل شىء يؤكد خيانتها .. نظرات عيناها التى تشع ولهاً به .. وحركاتها التى تُظهر ميلاً له .. وحمرة وجهها حين تتحدث إليه .. ورفضها لى حين أقترب منها .. وفراشى الذى تفوح منه رائحة غريبة .. وسماعة التليفون التى تخرس حين أستجيب أنا للرنين .. كل شىء .. كل شىء يؤكد خيانة زوجتى .. والخيانة جزاؤها القتل .. وماتت بين يديه وبفعل يديه وهى تقسم – صادقة – أنها بريئة .

• • •

.. تقطعت أوصال الرباط المقدس وصرخت ملائكة المودة والرحمة التى كانت تتعلق بهذا الرباط وهوت إلى أرض الشياطين حين دست هذه السيدة العاشقة السم لزوجها ففاضت روحه فأزاحته من على سريره لتخلى مكاناً لعشيقها إحتفاءً بالحرية وتأكيداً لاحقيقته بهذا المكان وإعادة التأكيد على جدارته فى الحب ..

وبقى أمر ثانوى وهو الخلاص من الجثة فقطعتها إثنى وثلاثين قطة نثرتها فى الأرض فتمضى فى كل موقع حية رقطاء تفتل أعتى الرجال بمجرد أن ترمقه بنظرة ..

• • •

هؤلاء البؤساء يقتلون :

• إنسان مريض بالفصام كالذى يقتل أمه أو كالذى تأمره الأصوات بقتل شقيقته أو

كالذى تسيطر عليه الضلالات بأن زوجته خائنة أو بأن جاره يذيع أسراره ويقرأ أفكاره فيقرر الخلاص منه .

- إنسانة مريضة بالاكتئاب فتقرر قتل أطفالها لتخلصهم من عذاب الحياة .. إنه قتل من الشفقة .. ثم تنتحر هى ..

- أو إنسان « سيكوباتى » كالتى تقتل زوجها لتتزوج بعشيقها أو كالتى تقتل إبنها لتنعم بمزيد من الحرية ..

.. يضطرب التفكير فيقتل الإنسان أعز الناس لديه ..

.. يضطرب الوجدان فيقتل الإنسان أعز الناس لديه ..

.. تضطرب الشخصية فيقتل الإنسان من أجل شهواته ..

فى « الاكتئاب » وفى « الفصام » يفقد الإنسان إتصاله بالوقاع .. يفقد استبصاره .. تسيطر عليه « الهلاوس » أو « الضلالات » .. ويأتى القتل معبراً عن قمة الخلل الذى أصاب عقل هذا الإنسان كطائرة وقفت كل محركاتها وهى فى الهواء فهوت فى لحظة وإصطدمت بالأرض بعنف لتتحول إلى ذرات ملتهبة ..

وماذا يجدى العقاب مع إنسان كهذا ؟ وأى ردع نتوقعه لمن إنهار عقله وإنفصل عن الواقع ؟ وأى مسئولية جنائية لمن سيطرت عليه « الهلاوس » أو « الضلالات » فارتكب فعلته تحت تأثيرها بلا إرادة منه تفحص الأمر وتتخذ القرار ..

والنص القانونى يقرأ : « حين الفصل فى المسئولية الجنائية لمرض العقل يجب أن يثبت بوضوح أن المتهم وقت إرتكاب الجريمة يعانى بسبب مرض فى العقل من نقص أو قصور فى التعقل أو الرشد جعله لا يدرى طبيعة ونوع أى ما هية الفعل الذى يرتكبه .. أو فى حالة درايته لطبيعة وما هية الفعل فإنه لم يكن يدرى أن ما يرتكبه فعلاً خاطئاً » .

.. والقتل هو أقصى درجات إضطراب السلوك .. وهو عدوان موجه ناحية

الآخرين .. وهناك عدوان آخر قد يوجهه الإنسان ناحية نفسه وهذا هو ما يحدث فى الانتحار .. Suicide ..

• متى ينتحر الإنسان ؟

– ليس فقط حين يشعر أن الحياة تافهه وليس لها قيمة ولا تستحق أن نحياها .. ولكن حينما يشعر بالعذاب .. عذاب تتلظى به نفسه .. وحين يصبح الموت هو طريق الخلاص الوحيد من هول الآلام البشعة التى تحاصره .. وهو فى هذه الحالة يكون منفصلاً تماماً عن الواقع .. وحينئذ يقدم على الانتحار دون وجل أو خوف .. يفعلها « مريض الفصام » إمتثالاً لأمر أصوات أو لاحساسه الشديد والمؤلم بالاضطهاد والحصار والمراقبة من الآخرين .. ويفعلها أكثر « مريض الاكتئاب الذهانى » ..

والمحقق الجنائى لابد أن يكون على دراية طيبة بالأمراض العصابية والذهانية .. وأيضاً يجب أن يعرف القضاة والمستشارون الكثير عن هذه الأمراض وعلاقتها بالجرائم ..

.. فالسيدة الثرية جداً قد تسرق أشياء تافهة لا تحتاج إليها وتستطيع بسهولة أن تدفع ثمنها .. ولكنها تسرق لانها مريضة وتلك حالة مرضية تعرف باسم « هوس السرقة » Kleptomania ..

.. وذلك الرجل الوقور الذى تعدى الستين من عمره وكان يشغل مركزاً مرموقاً ، وضبط وهو يحاول أن يصرف شيكاً مزورا قام هو نفسه بتزويره رغم عدم إحتياجه للمال .. هذا الرجل ربما يعانى من تصلب فى شرايين المخ أو من بداية عته وربما أيضاً من ورم ضئيل ينمو تدريجياً فى الفص الأمامى للمخ ..

.. وهؤلاء الأشقياء الذين اغتصبوا هذه القتاة Rape .. هل « السيكوباتية » وحدها هى المسئولة أم أن أحد هؤلاء الشبان يعانى من تخلف عقلى وآخر يعانى من فصام أدى إلى تبلد الوجدان .. فمن ذا الذى يستطيع أن يمارس الجنس تحت هذه الظروف ؟ لابد أنه متبلد وجدانياً فممارسة الجنس عاطفة أو تعبير عن العاطفة ولا بد

أن يمارس فى ظروف نفسية مريحة وبعيدة عن القلق .. فما بالك بإنسان يمارس الجنس مع فتاة تحاول أن تهرب منه وتدفعه بعنف وتصرخ مستنجدة ورغم ذلك فهو مستمر فى الممارسة باستمتاع .. هل هذا إنسان طبيعى .؟

.. وذلك الذى يغتصب طفلة عمرها سبع سنوات وربما يقتلها بعد ذلك رغم أنه يستطيع أن يعاشر أى امرأة بالغة .. هل هو طبيعى ..؟

وما هى الحدود بين ما هو طبيعى وما هو غير طبيعى ؟ وما علاقة الفعل الاجرامى بالحالة المرضية ..؟ وهل إرتكاب الجريمة راجع إلى الاضطراب العقلى أم أن الجريمة ليست لها علاقة بمرضه ..؟ ومن يستطيع أن يثبت ذلك أو ينفيه ..؟

فى دراسة مصرية للمؤلف عن القتلة المصريين وجد أن ٣٠٪ منهم يعانون من « الفصام » ، و ٧٠٪ لديهم « شخصية سيكوباتية » ، وحوالى ٧٠٪ من السيكوباتيين لديهم « إضطراب فى المخ » كما أوضحه رسام المخ الكهربائى ..

والباحثون الغربيون وجدوا أن بعض السيكوباتيين الذين يرتكبون جرائم تتسم بالعنف لديهم كروموزومات زائدة عن العدد الطبيعى وشكلها مختلف .

وفى دراسات أخرى ثبت أن السلوك العنيف يرجع إلى وجود خلل عضوى فى مركز بالمخ يعرف باسم « حصان البحر » أو « الإمجدالا » Amygdala .. وبإجراء جراحة لإزالة هذا الجزء يتحول أعتى المجرمين إلى حمل وديع .. ومضادات الصرع تعالج بعض إضطرابات السلوك وكذلك تفعل مركبات اللثيوم .. فهل المشكلة مصدرها إضطراب كهربى فى المخ راجع لاضطراب عضوى ولذلك تحسنه مضادات الصرع أم هو إضطراب إنفعالى تضبطه مركبات اللثيوم !!

عجيب أمر هذا الإنسان على هذا الكوكب .. وما أغربه حين يئد الحب ويزرع الكراهية .. وما أتعسه حين يكون الأمر خارجاً عن إراداته بفعل عقل مضطرب .. وحينئذ لا نملك إلا أن نقول : لا حول ولا قولة إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

خاتمــــة

كما أنه لا حيلة فى الرزق ولا شفاعة فى الموت فإنه لا حيلة ولا شفاعة فى المرض .

.. وخلق الإنسان فى كبد .. والمرض بعض مكابدته .

.. وخلق الإنسان ضعيفاً .. والمرض بعض ضعفه أو تأكيد لضعفه .. فقطعة حجر صغير تُسيل دماءه .. وأيضاً كلمة قاسية أو مهينة تذبح نفسه .. والنفس الذبيحة تتلوى كأنما الروح تصعد من الجسد .

ولا يبرح مخيلتى منظر شاة رأيتها تذبح وأنا طفل وكانت تهب واقفة رغم أن رقبتها كادت تنفصل عن جسدها .. وفهمت معنى أن يتعذب مخلوق على يد مخلوق آخر أقوى منه .. أى تبلور فى وعيى معنى العذاب .. نفس هذا العذاب أراه فى مريض الوسواس القهرى حين تقهره وساوسة الطائشة السخيفة وفى مريض الاكتئاب حين تعصره القتامة واليأس وفى مريض القلق حين يهده التوتر والخوف وتنفصل الرأس عن الجسد تماماً حين يصاب الإنسان بالمرض العقلى أى حين ينفصل عن الواقع ..

- كيف ..؟

- ولماذا .. ؟

- – لا أعرف ! !

- ولكنى أعرف أن هناك وسائل لمساعدتهم حتى تندمل جراح النفس الذبيحة بالقلق والاكتئاب والوساوس ، وحتى ترتد الرأس إلى جسدها فيعود للإنسان إرتباطه بالواقع ..

- والذى يخرج من تجربة المرض النفسى يصبح قادراً على معاينة الجمال فى الكون .. فيراه فى زهرة تنمو ، وفى عصفور يزقزق على فرع شجرة ، وفى تجمع لمياه أمطار تحفر طريقاً عشوائياً فى الأرض ، وفى لحظات انبهار الأرض بنور الفجر فتحتقن بالأمل اللا متناهى .. يرى الجمال فى كلمة طيبة وابتسامة مخلصة ويد حانية ..

وحين يفعمه الجمال يقول : الحمد لله خالق السماوات والأرض وخالق المرض والشفاء .. يعمق الإيمان إلى أبعد الدرجات بعد الخروج من تجربة المرض النفسى فيرى الإنسان مالم يكن يراه من قبل ويشعر بما لم يكن يشعر به من قبل ..

يخرج الإنسان من تجربة المرض النفسى وهو أكثر حباً للحياة وأكثر تمسكاً بها .. لا بمظاهرها وزهوها الزائف ولكن بمعانيها التى لا تتحقق إلا من خلال الحب .. بل هو لم يخرج من حالة المرض إلا بالحب الذى نقى روحه ونقى جسده وملأ جوانبه ، ثم أفاض منه على الناس بل على كل المخلوقات ..

وبذلك نصل إلى جوهر الحقيقة .. جوهر الخلق والكون والإنسان .. جوهر المعاناة والخروج منها .. جوهر المرض والشفاء منه : إنه .. الحب

د . عادل صادق

محتويات الكتاب

صدر من سلسلة
« كتاب الحـريـة »

العـدد الأول : (يونيو ١٩٨٥)

هذا هو الاسلام .... **لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى**

العـدد الثـانى : (يوليو ١٩٨٥)

٧٢ شهراً مع عبد الناصر .... **للأستاذ الكبير فتحى رضوان**

العـدد الثـالث : (أغسطس ١٩٨٥)

الطب والجنس .... **للأستاذ الدكتور مدحت عزيز شوق**

العـدد الرابـع : (سبتمبر ١٩٨٥)

الدولة والحكم فى الاسلام .... **للاستاذ الدكتور حسين فوزى النجار**

العـدد الخـامس : (أكتوبر ١٩٨٥)

أسرار السياسة المصرية فى ربع قرن .... **للاستاذ عبد المغنى سعيد**

العـدد السـادس : (نوفمبر ١٩٨٥)

مصر .. وقضايا الاغتيالات السياسية ..... **للأستاذ الدكتور محمود متولى**

العـدد السـابع : (ديسمبر ١٩٨٥)

الطب النفسى .... **للأستاذ الدكتور عادل صادق**

يصدر عن المؤلف ..

- في أول يناير ١٩٨٦ كتاب ..

الألم النفسي .. والعضوي

يشرح فيه كل أنواع الألم التي تصيب الإنسان لأسباب نفسية أو لأسباب عضوية مثل الصداع وآلام الظهر والفقرات والمفاصل والبطن .. وكذلك آلام القلب والصدر .. وأيضا أقسى أنواع الآلام وهي آلام النفس كما في حالات الإكتئاب والقلق.

- وفي منتصف يناير ١٩٨٦ كتاب ..

الإدمان .. له علاج

وفيه يتعرض المؤلف بأسلوب علمي وواقعي لأسباب الإدمان وأعراضه والوقاية منه وأساليب العلاج الحديثة ودور الأسرة في وقاية وعلاج أبنائها ..



ثمن النسخة في الدول العربية

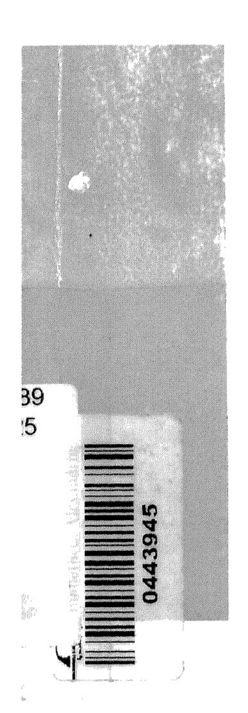
السعودية ١٠ ريالات – الكويت دينار – قطر ١٠ ريالات – البحرين دينار – الامارات ١٠ دراهم – عمان ريال – العراق ٢ دينار – سوريا ١٠ ليرات – لبنان ١٠ ليرات – الأردن دينار – اليمن الشمالي ١٠ ريالات – اليمن الجنوبي ٩٠٠ فلس – السودان ٢ جنيه – ليبيا جنيه – تونس ٩٠٠ مليم المغرب ١٠ دراهم – الجزائر ٤ دينارات .

(باقى دول العالم ثلاثة دولارات)

رقم الإيداع : ٧٤٥٨ / ٨٥
الترقيم الدولى : ١٠٠ - ١٤٥٥ - ٩٧٧







- الأستاذ الدكتور عادل صادق من مواليد القاهرة فى ٩ أكتوبر عام ١٩٤٣ .
- حصل على بكالوريوس الطب والجراحة من كلية طب جامعة عين شمس عام ١٩٦٦ ، ثم حصل على دبلوم الأمراض الباطنية ، ثم دبلوم الأمراض العصبية ، ثم نال دكتوراه الطب النفسى وعين مدرساً بالكلية عام ١٩٧٢ .
- عين أستاذ للطب النفسى عام ١٩٨٢ .
- فى عام ١٩٨٣ منحته الجمعية الأمريكية للطب النفسى العضوية الفخرية وأعقبتها بالزمالة الفخرية نظراً لابحاثه المتميزة ، وفى عام ١٩٨٤ منحته الكلية الملكية للأطباء النفسيين بلندن الزمالة الفخرية .
- له أكثر من خمسين بحثاً فى مجالات الطب النفسى المختلفة .
- له ٦ كتب وهذا هو الكتاب السابع .. وله تحت الطبع كتابان

.. وهــذاالكــتاب

دراسة جادة وشيقة حول النفس البشرية فى رحلة حياتها الشاقة ، والمثيرة داخل جسم الإنسان ومحاولة مخلصة لتفسير علاقة الترابط بينها وبين القوى المادية وغير المادية فى الكيان الإنسانى .

.. وهــــذهالـــدار

هى أول دار مستقلة للصحافة والطباعة والنشر فى مصر ، نشأت نتيجة جهد وعرق وايمان مجموعة من المشتغلين بالفكر والكتابة .

☐ لتكون ساحة للحوار وملتقى للفكر المستنير وللتفاعل بين الآراء والاتجاهات المختلفة فى مصر والوطن العربى .

☐ ولتكون حلقة وصل بين التيارات الوطنية المختلفة والاجيال العاملة فى الحقل العام .

☐ ولتكون إطلالة على الغد تستشرف آفاقه وتبحث مشاكله ، وتسعى إلى فحص حلولها .

وهى من هذا المنطلق تتجاوز معارك الأمس ، وتخوض معارك الغد ، وتعتمد فى ذلك على الجيل الجديد من الشباب ، تتحدث إليه وتعمل من خلاله وبواسطته .

وفى كل ما يصدر عنها فان « دار الحرية » تلتزم بالموضوعية فى التحليل ، وبالتفكير العلمى وباحترام عقل القارىء ، وذلك بهدف دعم الحوار الفكرى وجذب كل الآراء والاتجاهات إلى دائرة الحوار .

الثمـــن١٥٠ قرشــا